وزارة بغداد

وسياسة أبي الحسن علي بن الفرات

دكتور محمد أحمد محمد
مدرس التاريخ الاسلامي
كلية الآداب - سوهاج

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ،
وبعد فهذا موضوع يتناول الوزارة فى بغداد وسياسة أبى الحسن على ابن الفرات ، وترجع أهمية هذا الموضوع فى انه يعالج فترة من فترات الضعف التى ألمت بالخلافة العباسية فى القرن الثالث الهجرى ، ونرى بحسباننا انه ينبغى على الباحثين المتخصصين فى الدراسات التاريخية بوجه عام والاسلامية منها بوجه أخص ان يعكفوا على دراسة تلك الفترات التى سادها عوامل الضعف والاضمحلال بنفس القدر من اهتمامهم بمعالجة تلك التى سادها عوامل الرقى والازدهار ، ذلك انه فى كلا الحالتين يمهدون للقارئين ممن يهتمون بأحوال العالم الاسلامى من أبناء الشعوب حكاما ومحكومين سبيل الاهتمام باجراء استدعاءات تراثية من شانها أن تيسر لهم الوقوف من خلالها على تلك التى كانت سبيلا لرقى المسلمين فى ظل الحكومات الناهضة التى نشرت نجاحا فى شتى المناحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما أنها تيسر لهم ـ أيضا ـ الوقوف على تلك التى باتت مدعاة للأفول والضعف من جراء عجز القائمين بالنهوض بالمسلمين فى هذه أو تلك على أثر عوامل الضعف التى استشرت لأسباب سياسية واقتصاديةواجتماعية والتى من شانها أن قطعت أوصال وأركان أجهزة الخلافة الاسلامية ، فغاب سلطانها واضمحل ، واتضع حال المسلمين من وراء ذلك فصاروا ضعافا من بعد قوة ، وأخذوا سبيلهم الى نكوص من بعد اقدام الأمر الذى صار صداه مستمرا وباقيا حتى بات عالمنا الاسلامى المعاصر يعانى الفرقة والانقسام ويفتقر الى الوحدة بفعل غياب ذلك السلطان الروحى والسياسى الذى كان يلتف حوله شعوب الولايات أيام الراشدين وبنى أمية والعباسيين فى عهدهم الأول .

ولسنا نعمم القول بصورة مطلقة حتى لا نقع فى مجازفة خطيرة ، ذلك ان الحكومات المستقلة منذ القرن الثالث الهجرى كانت سبيلا لنجاح المسلمين وتفوقهم على اعدائهم فضلا عن مساعيها لنشر مظاهر الحضارة ونظمها فى كافة أجزاء العالم الاسلامى غير انها كانت بمسيس الحاجة الى سلطان الخليفة السياسى الذى غاب وتضعضع اثر رغبة هؤلاء المستقلين فى الاستئثار بالسلطة والهيمنة فيما أقاموه من دول وولايات ولو أنهم اقبلوا على نشر هذه المناشط فى شتى النواحى فى إطار ابقائهم على سلطان الخليفة السياسى والدينى يمثل ما كان عليه حاله فى القرون الأولى والثانى وأوائل الثالث من الهجرة لكان للمسلمين حتى أواخر العصور الوسطى شأن آخر ، وصار صداه اليوم فعالا ومثمرا .

والموضوع الذى أمامنا يشكل علامة من علامات ذلك الضعف الذى ألم بجسم الخلافة العباسية فى القرن الثالث الهجرى ويتجلى لنا بتناوله الى أى حد كان الخليفة خاضعا لنفوذ الأتراك ، والى أى حد كان الوزير أبو الحسن على بن الفرات يسعى الى التوفيق بالعمل على استرضائه فى ظل هذا النفوذ ، الأمر الذى جعله هو الآخر يسعى جاهدا تثبيتا لسلطانه وسيطرته شانه فى ذلك شان الاتراك والقواد وكبار الرجال فى ظل الغيبوبة العقلية التى سادت حياة الخليفة المقتدر ، غير أنه مما يحمد له انه فاق أهل أوساطه ممن يمثلون الصفوه بالعناية بأهل العلم والأدب مما أسهم فى نشر الحركة الثقافية فى حاضرة الخلافة ، كما أنه لم يغفل مطالب المستضعفين من المعوذين وأجزل عليهم عطاءا موفورا ، الا أنه ازاء ما واجهه من صعوبات من تنافس كبار رجال الدولة ، فضلا عن تعرضه بين حين وآخر لغضب الأتراك قد عرضه للتنكيل والبطش والعزل ، غير أن الخليفة كان يعنى بكفايته وحسن تدبيره الأمر الذى كان سبيلا للاستعانة به ، ويكمن ذلك فيما كان له من ضرورة – فى تقلده الوزارة ثلاث مرات .

وقسمت الموضــوع الى ثلاثة فصــول بداتها بتمهيد عالجت فيــه نظام الوزارة ونشأته فى عهد بنى العباس مبينا أنه على الرغم من ظهوره لأول مرة فى ذلك العهد الا أنه لم يكتب له الاستمرار على صــورة واحدة ، بل تباين من حيث الضعف والقوة تبعا لحــال الخلافة ، وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظ نظام الوزارة بشكله العــام من حيث تثبيت أركانه وتقاليده وقواعده عبر الفترات الزمنية طيلة عهد العباسيين ٠

وعالجت فى الفصل الأول نظام الوزارة أيام أبى الحسن بن الفرات، فأشرت بالدراســـة والتحليل الى رســوم الوزارة فى عهده وما اختصت به من احتفالات تنصيب ومواكب كان يختص بهــا عند لقائه بالخليفة فضــلا عن المجالس التى خصصها بداره وما لهــا من رســوم ، وعنيت بالاشــارة الى اختصاصاته وسياسته الداخلية فى حاضرة الخلافة ومــا أقبــل عليــه من اهتمامات فى ادارة الدواوين التى اختصت بالشئون المــالية ٠

وتناولت فى الفصــل الثانى علاقة أبى الحسن بن الفرات بالدولة فأشرت الى علاقته بقصر الخلافة موضحا انعكاسات هــذه الصــلات على سياسته فى تصريف أبواب الايرادات ومــا خصصه منهــا لتغطية مطالب الخليفــة فضــلا عن آثارهــا بالسلب عــلى ســياســته الادارية حيث صــارت تتجه فى كثير من الأحيان وفق ما تمليه الســيدة أم الخليفــة وقهرمانتها ، وأوضحت بالشرح عــلاقته بحــكام الولايات وما كان يتخــذه من شروط فى شــأن اختيــاره لهــم ، وحسن مبــاشرته لأحوالهم فى استقصاء ما عليهم من ضمانات مفروضة عليهم الى دواوين بغداد الخاصــة والعــامة ، وأخــذت صلاته بالخــارج قدرا من عنايتى ، فأوضحت ما اتخذه من سبيل فى شــأن الروم والقرامطة ٠

أمــا الفصــل الأخير فقد جعلته بعنوان « الوزير أبو الحسن بن الفرات ومجتمع بغداد » لمــا كان لمكانته الرفيعــة التى احتلهــا من

تأثير – بطبيعة الحـال – على حياته الاجتماعية ، وأوضحت الى أى حـد كان يتخذ من نهج نحـو الاهتمام بأمـور الضيافة ، ونشر حركة العلم والاهتمام برجاله . فضـلا عن عطائه الموفـور لمن كانوا بمسيس الحاجة الى الأمـوال اعمالا لأن يوفر لهم حياة أفضـل ، وانهيت الفصل بعرض لبعض النصـوص التى تحكى فضـائل أبى الحسن بن الفرات .

هـذا والله من وراء القصـد وأسأله أن يوفقنى لمتابعة البحث فى تاريخ الاسـلام وحضارته . .

محمد أحمد محمد



يعد نظام الوزارة من نظم الدولة العباسية التى لم يكتب لهـا الاستقرار والثبات على صـورة واحـدة ، بل تطور عبر مراحل زمنية وفق ظروف تاريخية احـدثت تحولات سياسية كان من شأنها أن تغـير فى شـكل الحـكم ، ومقاصـد القائمين عليه بين حين وآخر ، ذلك أنه على الرغم من عـدم ظهور ذلك النظام بمعناه الاصطلاحى زمن الراشدين والامويين ، وظهوره عند العباسيين ، فان رأس الدولة فى الدولة العباسية فى بدء نشـأتها كان ينظر للوزير بصـورة تسمح لـه أن يباشر مهامه بوصفه مسئولا عن تحقيق مقاصـده الاستراتيجية التى تستهدف استقرار دولته داخل حاضرته وتوابعها من الولايات ، واستمر ذلك النهج معمولا به قرابة قرن من الزمان ، وكان الخلفاء اذ ذاك يرقبون أعمال وزرائهم حتى اذا انحرفوا عن سياستهم نكلوا بهم وتخلصوا منهم ٠

ومما تجـدر ملاحظته ان الاطروحات التى تنـاولت بالحـديث الوزارة فى الدولـة العباسية كأحـد أفرع النظام السياسى قـد أسـهبت بتفصيلات دقيقة عن الـوزراء ، وما قاموا به من مهـام ونهاية كل وزير بالعـزل أو القتل فضـلا عن الاشـارة الى الأسـباب التى كانت وراء التغييرات التى طرأت على مرتبة الوزارة طيلة حـكم العباسيين على وجـه التقريب ، ومن بينها تلك الفترات الزمنية التى تولى خلالهـا وزراء كان لهم من الاتجاهات سـبيلا لخدمة الدولة ورقيها ، غـير أن هـذه لم يكتب لها الثبـات على الـدوام ، ذ سرعان ـ على سـبيل المثال ـ ما انتهى عهد البرامكة الى زوال ٠

اذن كان عهـــد العباسيين شاهدا ـ لأول مرة ـ على ظهور نظام الوزارة ، واستمرار العمـل به ، ومحاولة تثبيته عبر الفترات الزمنية

المتلاحقة فى اطار كنف الخلافة ، على حين اهتزت فعاليته خارج هذا الاطار فى النهوض بالنظام السياسى فى الدولة العباسية وتطوره الأمر الذى ظهر لنا واضحا فى ادبيات ذلك العصر وهناك من الاشارات عند الفقهاء والمؤرخين المعاصرين ما يعيننا على فهم هذه الظاهرة البالغة الخطورة لما لها من دلالات جديرة بالاعتبار .

والحق أن النظام السياسى فى الدولة العباسية كان يرأسه ويحكمه منذ نشأة هذه الدولة الخليفة العباسى فى اطار من المركزية الشديدة(١) التى باتت سبيلا لأن يجمع فى قبضته شئون الدولة السياسية والحربية والادارية الأمر الذى اتاح له أن يؤكد سلطانه على أجهزة الدولة فى الحاضرة ، وسائر الولايات الخاضعة لسلطانه .

على أن حرص الخلفاء العباسيين على اتخاذ الشكل المركزى فى الحكم بات عاملا رئيسيا لأن تأخذ الدولة سبيلها للارتقاء فى وقت كان على رأس الدولة خلفاء أقوياء الشكيمة كالمنصور والمهدى والهادى والرشيد والمأمون والمعتصم والواثق .

على أنه من قبيل المجازفة الخطيرة ان يلصق البعض التهمة بخلفاء البداية كالسفاح والمنصور(٢) . فيما ذهبوا اليه من اتخاذهم المركزية المطلقة سبيلا للحكم لامرين هامين لا ثالث لهما ، أولاهما ، ان الضرورة الجأتهم الى اتخاذهم نهجا يتسم بالقوة والعسف أعمالا للتصفية وتثبيتا لأهداف الثورة(٣) ، ولم يكن هناك بد من أن يحكموا قبضتهم بقوة الشكيمة على سائر العناصر التى اعملوا الضغط عليها ، وكان اكثرها

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، صفحة ٢٠ وما بعدها ، أنظر .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، صفحة ٢٠٢ .

(٣) حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى صفحة ١٢٠ وما بعدها .

بالضرورة الوزراء الذين صاروا أداة لتدبير شئونهم السياسية ، ومن ثم لم يكن هناك احساس بالغرابة أو الدهشة اذا أقبل الخليفة على قتل وزير أو عزله لتقصيره أو انحرافه عن سياسته ، ولنضرب مثلا بحفص بن سليمان أبى سلمة الخلال أول وزير فى الدولة العباسية والذى سرعان ما قتل بتحريض من الخليفة أبى العباس السفاح فى رجب سنة ١٣٢هـ(٤) لرغبته فى جعل الخلافة فى ولد « على » لا «آل العباس » معارضا بذلك ، وضاربا مقاصد العباسيين .

والمعروف أنه لم ينج أحد من وزراء السفاح أو المنصور من القتل الا خالد بن برمك الذى كان يعمل عمل الوزراء لمكانته الكبيرة واشرافه على ديوانى الجند والمال .

ومن الشواهد أنه على الرغم من الاستقرار النسبى لمركز الوزارة منذ عهد الخليفة المهدى (١٥٨هـ ـ ١٦٩هـ) الا ان منازعة الوزراء اذ ذاك لسلطان الخليفة قد أدى الى كثير من النهايات المحزنة التى تعرض لها الكثيرون منهم ، ونذكر على سبيل المثال ـ ما تعرض له البرامكة(٥) وبنو سهل(٦) من نكبات لدأبهم على أحياء مجد أسلافهم الايرانيين الأمر الذى جعل الخليفة المأمون (١٩٩ ـ ٢١٨هـ) يستعين بوزراء لم يكن لهم استقلال ولا رأى .

وأما الأمر الثانى الذى يجعلنا لا نلصق ضعفا بخلفاء البداية فى اتخاذهم النمط المركزى المطلق نهجا لتثبيت أركان الخلافة ، أن الخلافة المركزية كانت تمثل الشكل المثالى الذى تمسك به الفقهاء

---

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ صفحة ١٧٦
(٥) الجهشياوى : الوزراء والكتاب ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠
ـ أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، جـ ٢ ، ص ١٦
(٦) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص ٢١٢
ـ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، حوادث سنة ٢٠٢هـ

فى كتب الفقه ، واجماعهم على انها الشكل الشرعى الذى اكتسب صفة القانونية من الاجماع ، بمعنى أن فكرة الخلافة المركزية فكرة انشـــأها اجماع الراشدين فى جيل الصحابة الأوائل(٧) ، ون هنا لم يكن غريبا ان يكون نجاح الخليفة المنصــور (١٣٦ - ١٥٨هـ) وتحقيقه للنمط التقليدى للخلافة القوية القادرة المسيطرة مدعاة لأن يعده المؤرخــون المؤسس الحقيقى للدولة العباسية .

واستمر الخلفـــاء من بعد المنصـــور فى اتخاذهم الشـكل المثالى للمركزية الذى كان معـــروفا عند الراشـــدين فى اطـار من الصـــور المتباينة(٨) مدفوعين بما ورثوه من الخلافة الأموية التى استحالت الى ملك استبدادى مما جعـل الاتبـاع من الوزراء والولاه والكتاب وغيرهم ينظرون الى الخليفة بوصفة صاحب السلطة العليا ، ومرجع كل السلطات ممتثلين لأوامره ومنفذين ، ومما لا شك فيه أن مثل هؤلاء قد ادوا مهاما جليلة القدر فى ظل هيمنة الخلفاء (٩) ولما أخذت عوامل الضعف تزحف الى رأس الدولة العباسية بفعل ذلك التحول الخطير الذى ألم بالخلافة

---

(٧) الماوردى : الاحكام السلطانية ، صفحة ٨ وما بعدها .

(٨) هناك صور عديدة تؤكد أن العباسيين لم يحافظوا على هذا الشكل المثالى للخلافة فى اطار التطور الذى استحدثه الخلفاء الأمويون ، وغالوا فى تنفيذهم لمبدأ ولاية العهد ، فصاروا يولونه لأكثر من اثنين ، وتطور الأمر الى أن صارت المبايعة للاقدر منهم ، فلا وراثة فى الابناء الا اذا ثبتت قدرتهم ، وهكذا تولى الخـــلافة أخوان (أبو العبـــاس والمنصور) ثم ابن (هو المهدى) ، ثم أخوان (الهادى والرشـــيد) ثم ابن (الأمين) ثم أخوان (المامون والمعتصم) ثم ابن (الواثق) .
أما أصحاب الحق فى اختيار الخليفة ، فكانوا أهل الحل والعقد ، وكانوا من أفراد البيت العباسى ، ومن فى مثل مركزهم من كبار لقواد ، وتطور الأمر الى ان صـــاروا من بين الوزراء والقـــواد ثم يليهم أفراد البيت العباسى .
(الماوردى : الاحكام السلطانية : صفحة ٤ - ١٧ - حسن أحمد محمود : المرجع نفسه ، صفحة ١٢٠ - ١٣١) .

(٩) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

ونظامها السياسى من جـــراء ذلك التدفق الهـائل للعناصر التركية الى حاضرة الخلافة منذ عهد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) (١٠) وصار الخليفة ووزيره فى الازمان اللاحقة يعولان على سياسة تتفق وما تفرضه مقاصدهم ، ولسنا بصدد الحديث عن مظاهر ذلك الضعف الذى الم بسلطان الخليفة العباسى على اثر تغلغل النفوذ التركى ، غير أننا نجمل القول بالاشارة الى أن هذا الطغيان التركى أخـــذ يجثم على صدر النظام الســـياسى فى الدولة العباسية حتى بات المسيطرون عليه رموزا أو اشكالا ليس لها من الأمر شيئا(١١) ، وبلغ الأمر أن صار تعيين رأس الدولة موقوفا على رغبة الاتراك(١٢) الذين جمعوا فى قبضتهم أمر سياسة العزل والتولية على مر فترة زمنية طويلة حتى صار من البديهى أن يصف المؤرخون الفترة من قيام الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) وحتى قيام الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٣هـ) بعهد نفوذ الاتراك .

كانت قبضة النفوذ التركى على الوزراء فى تلك الفترة التاريخية الحالكة أعمق غورا ، ويكفى أن نشير الى أن الوزير كان اداه طيعة فى ايدى الاتراك تغطية لمقاصدهم المالية ولم يعد كما كان فى عهد الخلفـاء الأوائـــل ينصرف فى ظل هيمنة رأس الدولة الى ضبط الأمور الماليـــة مشاركا فى الادارة السياسية فى كنف الخليفة وبرضاه ، ومنفذا لاوامره . بل صـــار بالضرورة ضعيفا قليل الحيلة ازاء تلبية مطالب الخليفة من ناحية ، وترضية لعناصر الترك من ناحية أخرى ، وكان ازاء الثانى أكثر

(١٠) المقريزى : الخطط : جـ ١ ، صفحة ٣١١ .
Gibbon : decline and Full of the Roman Empire vol IV p. 47.

(١١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، صفحة ٣١٩ .
- حســن ابراهيم حسن : تاريخ الاســـلام السياسى جـ ٣ ، صفحة ٣٤ ، محمد جمال الدين سرور تاريخ الحضـــارة الاسلامية فى الشرق ، صفحة ٣٢

(١٢) اليعقـــوبى : تاريخ ، جـ ٢ ، صفحة ٢٠٨ ، أنظر حـــول رغبتهم فى شأن مبايعة المتوكل .

ضعفا لعلمه بان هؤلاء طغوا على سلطان الخلافة ، واولى به أن يسعى لكسب ولائهم والاكثر خطورة أن الوزير ازاء هذين الحملين الثقيلين أخفق فى أداء مهامة الاساسية التى ينبغى أن يحرص على ادائها امعانا وتثبيتا كانصرافه كلية للاشراف على الدواوين ، واستقصائه ـ بطبيعة الحال للموارد المالية وضبطها واسهاماته السياسية ومباشرة حـــركات الطامعين الى غير ذلكمن المهام ٠

ومن الثابت أن الوزير فى تلك الفترة قد حرص على تلبية رغباته بجمع الثروات ، اذ اتجاه المناخ الذى ساد الدولة العباسية فى عهد نفوذ الاتراك الى أن يسعى جاهداً لتحقيق أكبر قدر من مظاهر الحياة والسلطان تنشيطا لحيـــاته الخاصة ورغبه فى استطابة رغـــد العيش الذى نعم به الاتراك ، غير أن المصادر المعاصرة تؤكد أن الخليفة بايعاز من الترك لم يترك لهذا الوزير أو ذلك أن ينعم بثرواته بعد عزله ، وشاعت فى تلك الفترة على اثر ذلك المصادرات مع انزال العقوبات الأمر الذى يجعلنا نؤكد أن مهمة الوزير اذ ذاك لاتتعدى كونه مسخرا لترضية الترك حفاظا على راحة الخليفة ، واستطالة لبقائه ، وضرورة فرضتها ـ أيضا ـ رغبة الوزير فى تبوأه لمرتبة الوزارة فترة زمنية طويلة ٠

غير ان ما أسلفناه لا يعنى ان نظام الوزارة كان عديم الجدوى ، ذلك أن ظهور وزراء أقوياء مثل البرامكة وبتوسهل ادى الى تكوين نظام الوزارة الحقيقى والى رسوخه كاساس للادارة العباسية ولا يقلل من شأن ذلك النظام وجهود الخلفاء العباسيين العظام فى تثبيته ذلك الضعف الذى طرأ على الدولة العباسية بفعل قبضة النفوذ التركى ولا ننسى مســاعى العباسيين فى وضع الأولويات والضوابط لاختيار وزرائهم من ذوى الكفاية والعلم والمعرفة بالكتابة وشئون الدواوين (١٣) ٠

---

(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ، صفحة ٩٤ ومن بين هذه المساعى قيام الخليفة المعتصم بعزل وزيره أحمد بن عمار بن شـــادى =

ومما ينهض دليلا على أن نظام الوزارة قد ترسخت قواعده بجهود الخلفاء الأوائل ان أصداء هذه الجهود وفعاليتها قد امتدت الى عهد اللاحقين من خلفاء العصر الثانى ، اذ حرص هؤلاء على اختيار وزراء من بين العناصر المشهود لها بكفايتها وحسن درايتها ٠

وكان حرص الخلفاء العباسيين فى العصر الثانى على أستاذ منصب الوزير من بين هذه الفئة مدعاة لأن تنفرد بهذه الوظيفة اسرات تجمع بين أبنائها كتابا ورجالا من ذوى الكفاية فى الحساب وشئون الدواوين(١٤)

يتضح لنا مما تقدم ان النظام السياسى فى الدولة العباسية كان شاهدا على فاعلية مرتبة الوزارة فى كنف الخلفاء الذين اتخذوه سبيلا لادارة الدولة غير أنه أظهر تراجعا بعد حين بتغلغل النفوذ التركى مما كان له أسوا الاثر على فعالية السلطة السياسية فى الدولة العباسية ٠

قلنا أن العصر العباسى الثانى كان شاهدا على محدودية نشاط الوزراء بفعل تغلغل العنصر التركى الذى اضعف من شأن الخلافة والزارة بل نظم الدولة العباسية جملة وتفصيلا ، وباستقصاء الاخبار من بطون الكتب نؤكد أنه حتى فى الفترة التى حاول فيها الخلفاء بذل مساعيهم للتخلص من طغيان الاتراك خصوصا فى عهود الخليفة المهتدى (٢٥٥ –

=

البصرى واستخدامه بديلا عنه لكاتبيه محمد بن عبد الملك الزيات لما عرف عنه من الكفاية والدراية بالعلم والأدب ، فضلا عن المامة بفنون الكتابة واجادته لصنعتها وكان كثيرا ما يتصدى للقضايا العلمية التى استعصت على غيره من الكتاب الأمر الذى الجأ الخليفة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢هـ) الى ابقائه فى مرتبة الوزارة ٠

(ابن خلكان) : المصدر نفسه ، جـ ٥ ص ٩٤ – ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ صفحة ١٠٥) ٠

(١٤) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩٥ – ١٩٦

٢٥٦هـ)(١٥) والمعتمد (٢٥٦ ــ ٢٥٩هـ) ، والمعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٩هـ) والمكتفى (٢٨٩ ــ ٢٩٥هـ) (١٦)، فان هذا العنصر قد وجد ظروفا حالت دون استقرار الخلافة الأمر الذى يسر لهم سبيل الانتشار والضرب فى الارض ، والعمـــل للحيلولة دون هيمنة الخلفــاء ، ذلك ان أحداثا جساما منيت بها الدولة ، ما لم يستطع الخليفـــة العباسى منها فكاكا قد أوجدت سبيلا لتدخل هذه العناصر بين حين وآخـــر فرأوا أنه من الافضل ألا يعيشوا بمنأى عن الاضطراب الذى أصاب الحيـاة العامة فى الدولة ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، زعزعة الكيان العباسى أثر ثورة الزنج (١٧) التى استمرت زهاء أربعة عشر عاما (٢٥٥ ــ ٢٧٠هـ)،

---

(١٥) الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص ٢١٤ .

(١٦) ابن قتيبة : المعارف ، صفحة ٢٩٤ ، أنظر فى شـأن توليهم مهام الخلافة .

(١٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ١١ ، صفحـة ١٧٤ ، وما بعدها ، كانت ثورة الزنج أقرب الاخطار الى الخـــلافة العباسية ، وأكثرها ضراوة ، والزنج من العناصر السوداء التى دخلت العراق بطريق الجلب من سواحل افريقيا الشمالية ، وكانت اكثر أعمالهم فى فلاحــة الأراضى التى كان يملكها ملاك الأراضى وأصـحاب الاقطاعات ، وكان أحد المغامرين ويدعى أنه ينتسب الى على بن أبى طالب وأنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زين العابدين أبن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، قد حاول استثارة هذه العناصر منتهزا حالة الضعف التى منيت بها الدولة العباسية من جراء سياسة الاتراك وانصرافهم الى جمع الأموال واحداثهم مناخ ساد فيه ظروف اجتماعية واقتصادية قاسـية وقد وجدت دعوته قبولا بين أفراد العناصر الزنجية ، والتفوا حوله ، وثاروا ضد الملاك وأصحاب الأراضى ، واستهوت هذه الدعوة عناصر عديدة من العبيد فى كل منطقة العـــراق الجنــوبى ، واحرزت هذه الثورة اضطرابا هائلا بالدولة ، فالحق الثوار بجيوش الخلافة عدة هزائم بين البصرة وواسط وغيرها ، مما اضطر الخلفــاء العباسيون كالمهتدى والمعتمد الى استخدام العناصر التركيـــة لوقف تمردهم ، وظلت هذه الثورة تستعر لهيبها حتى تمكن أحمد الموفق أخــو الخليفة المعتمد من السيطرة على الثائرين وقتل صاحبهم سنة ٢٧٠هـ ٥

فضـــلا عن ظهور الطامعين فى الولايات الشرقيـــة التى صارت مسرحا للمنازعات والحرب بين المتغلبين ، ولم ير زعماء الاتراك الذين كانوا يحكمون هذه الولايات ازاء عجزهم سوى أن ينتقلوا بعمالهم الى حاضرة الخلافة لنشر أطماعهم تعويضا عما اخفقوا فى الحفاظ عليه ببلاد المشرق فقـــد أبدى موسى بن بغـا عجـــزه امام المتغلبين على نواحى المشرق فانصرف من واسط فى صحبة عمـاله الى بعداد (١٨) ، وظل الاتـــراك يرقبون مشاغل الخـــلافة فى درء حركات التمرد متلمسين الأســـباب للاستئثار بالسلطة ، غير أنهم احسوا بضعفهم ازاء سـيطرة الخـــلافة وبالذات فى عهدى المعتضد والمكتفى ، فما لوا الى الدعة حتى اذا سمحت لهم الظروف لجاوا الى اختيار خلفاء ضعاف من ابناء البيت العباسى ، وظلوا على تلك الحال حتى نجحوا فى اختيار طفل صغير لا يعرف من أمور الدنيا شيئا وهو المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) ، وبات هذا الرجـــل بالفعل العوبة بين أيديهم(١٩) حتى اذا شب وصار يافعا عكف على لذاته وترك ادارة شئون الخلافة الى زعيمهم مؤنس الخادم ، ولم يكن الأمر مقصورا على ذلك ، بل صارت أسباب الضعف سبيلا لتدخل نساء القصر فى أمور الدولة حتى بلغ الأمر بان غدت أجهزة الدولة وادارتها بيد أم الخليفة وقهرمانتها (٢٠) .

كانت لهذه التحولات أثر خطير لا يغفل على نظام الوزارة ، ذلك ان نشاط الوزير صار موقوفا بالضرورة على مقاصد الاتراك من جهة ، ونساء القصر من جهة أخرى وانحطت على أثر ذلك مرتبـة الوزارة ،

---

(١٨) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ ١١ ص ٢٣٥ ، القاهرة ١٨٢٦ .
(١٩) أبو الفدا ، المختصر فى تاريـــخ البشر ، جـ ٢ ص ٦٢ — السيوطى الخلفاء ص ٢٥٤ .
(٢٠) Horold Bowen : The life and times of Ali Ibn Asa, p. 178.
القهرمانة : هى المسيطرة الحفيظة على من تحت يدها (أنظـــر حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ٧٢

وكثر بين أصحابها ظاهرة العزل والتولية ، من جراء مطـامع الاتراك الذين كانوا يرون فى عزل وزير وتوليـة آخر فرصة لمصـادرة امواله ، بدليل ان هذه الظاهرة شاعت فى عهد المقتدر بصورة لم يسبق لها مثيل حتى وزر فى مدة خلافته اثنا عشر وزيرا من بينهم من تولى الوزارة المرة والمرتين ، ويأتى هذا الاضطراب تجسيدا لما آلت اليه مرتبة الوزارة من ضعف الفعالية ومحدودية نشاط صاحبها ٠

وعلى الرغم من ذلك الاقوال فان نظام الوزارة ظل محتفظا بقواعده من حيث رسومه وتقاليده ومهامة وعلاقته بالدولة فى الداخل والخارج ، غير ان نشاط صاحبه (الوزير) فى المجالات الاجتماعية والثقافية كان اعمق تأثيرا ، ويكمن هذا النجاح فى حرص الوزراء على حياتهم الخاصة التى شكلت أهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية التى سادت حاضره الخلافة العباسية فى عهد الخليفة المقتدر ، وتأتى ـ أيضا ـ تمثيلا لمـا طبعت عليه الحياة الخاصة بكبار رجال الدولة ٠

ونقدم فى الصفحات التاليات جانبا من أحـوال الوزارة فى عهـد اضمحلال سلطان الخلافة العباسية ـ وبالذات عهد المقتدر ـ مبينا الى أى حد كانت هذه الأحوال فى مرجعها تسير وفق ما يفرضه شخص الوزير وسياسته مع القصر ومقاصد الأتراك مع الحفاظ على الشكل العام لهـذه الوظيفة ودورها فى الحياة السياسية والاجتماعية ٠

ويعد الوزير أبو الحسن على بن الفرات ـ موضوع حديثنا ـ من أشهر الوزراء فى عهد المقتدر فعالية وظهورا فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ الدولة العباسية ، كما أن سياسته تمثل أصدق شاهد لحياة وزير ظل يعمل بين مقاصد القصر ومطامع القـواد الترك فترة طويلة تولى خلالها مرتبة الوزارة ثلاث مرات(٢١) وظل فى الأولى ثلاث سـنين

(٢١) ابن طباطبا : الفخرى ، صفحة ١٩٥ ـ ١٩٦

وثمانية أشهر فيما بين (٢٩٦ - ٢٩٩ هـ) (٢٢) واستمر فى الثانية سنة واحدة وخمســـة أشـــهر فيما بين (٣٠٤ - ٣٠٦هـ)(٢٣) فى حين كانت وزارته الثالثة عشرة أشهر فقط فيما بين (٣١١ - ٣١٢هـ) (٢٤) .

---

(٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، صفحة ٤٢١
(٢٣) ابن خلكان : المصدر نفسه جـ ٣ ، صفحة ٤٢٢
(٢٤) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، صفحة ٤٢٢

وزارة أبى الحسن بن الفرات واختصاصاتها

١ ـ وزارة أبى الحسن بن الفرات ورسومها :

احتفظت الوزارة فى عهد نفوذ الاتراك برسومها ، وبلغت حدا من الروعة والبهاء على عكس مما يصل الى الأذهان ـ من أن الوزارة فى ذلك العهد الذى ساده الاضطراب تنبىء بحدوث خلل فى أركان بنيتها ، وهو أمر يدعو الى الدهشة والغرابة بادىء ذى بدء ، على ان تلك الدهشة سرعان ما تأخذ سبيلها الى زوال اذا عرفنا أن الوزير فى ذلك العهد كان يتبوأ مقعد الوزارة فى ظل كنف الخلافة وبرضا القواد الترك وبتأييد منهم لما لهم من أهداف ينشدونها من وراء تعيين شخص بعينة ، ومن ثم أجملوا تأييدهم واستحسانهم فى أن تجرى الرسوم والاحتفالات بتنصيب هذا الوزير أو ذاك ممن يريدونه الى أقصى ما يمكن أن تصل اليه من ترتيب وتنظيم .

وأول ما يقابلنا من الرسوم التى صارت تقليدا معمولا به عند العباسيين فى شأن تعيين الوزراء ، ذلك الحفل الكبير الذى يعد بأمر الخليفة ، وكان يتميز بطابع خاص ورسوم معينة ، ومن بينها ماقام به الخليفة بارسال مرسوم مكتوب مع أميرين من أمراء الدولة الى أبى الحسن على بن الفرات يبلغه فيه تعيينه وزيرا ، وجرت العادة فى مثل هذه الظروف أن يقوم الوزير فور تسلمه مرسوم الخليفة بقصد دار الخلافة وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان(٢٥) ، حتى اذا وصل الى هناك أقبل الحاجب عليه ليقدمه الى الخليفة ، فيقوم هذا الأخير بدوره بمنحه خلعة الوزارة ، ويعقد له لواءا ، ويشير مسكويه (٢٦) أن الخليفة

---

(٢٥) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، صفحة ١٧٠ .

(٢٦) تجارؤب الأمم : ج ٥ ، ص ٨

المقتدر قد امر بمنح أبى الحسن بن الفرات خلعة الوزارة وقلده سيفا فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ بعد ان مثل بين يديه واقـر بقبوله منصب الوزير ، وأعلن خضوعه ٠

ومما يذكر ان أبا الحسن على بن الفرات خرج الى دار الوزارة(٢٧) فى موكب يحيطه كبار القواد والامراء والحجاب والحرس بعد أن استلم مرسوم التعيين وتقلد السيف ٠

وواقع الأمر أن الدافع وراء رغبة الخليفة المقتدر فى اختيار أبى الحسن على بن الفرات ومنحه مرسـوم الوزارة يكمن فى تلك الخدمات التى قدمها اليه هذا الأخـــير ، اذ كان وراء تغلبـــه على عبد الله بن المعتز(٢٨) ٠ ويرجع اليه الفضل فى تهدئة الفتنة التى سادت بغداد على أثر انتقال الخلافة اليه(٢٩) ٠ وحكى مسكويه(٣٠) أن أبا الحسن بن الفرات قد أشار على وزير المكتفى العباس بن الحسن بتولية جعفر بن المعتضد بعد المكتفى ناصحا اياه بألا ينظر الى صغر سنه قائلا له (ولم تجىء برجل يأمر وينهى ، ويعرف مالنا وممن يباشر التدبير بنفسه ، ويرى أنه مستقل (بقصد بذلك عبد الله بن المعتز) ، ولم لا تسلم هذا

---

(٢٧) هلال بن الصـابىء تحفـــة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، صفحة ٢٨ ، ٢٩

(٢٨) مسكوية : المصدر نفسه ، جـ ٥ صفحة ٨ وما بعدها ٠
كان أبو الحسن على بن الفـرات على رأس الفريق المؤيد لتوليـة جعفر بن المعتضد (المقتدر) الى جانب الاتراك على الرغم من صـغر سنه وقلة حيلته فى حين كان الوزير العباسى بن الحسن الى جانب بعض القواد مؤيدا لعبد الله بن المعتز ، غير أن هذا الاخير قد اخفق فى مناضرة ابن المعتز ازاء غلبة ابن الفرات الذى ناصر الاتراك وانتهى الأمر بتبوأ المقتدر مقعد الخلافة ، وقتل المعنز (أنظر مسكرية المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٨ وما بعدها حوادث سنة ٢٩٥هـ) ٠

(٢٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ ٠

(٣٠) تجارب الأمم : المصدر نفسه جـ ٥ صفحة ٨ ٠

الأمر الى من يدعكتدبره انت ـ ويعنى بطبيعة الحال جعفر بن المعتضد)

ويظهر اهتمام أبى الحسن بن الفرات بتولية المقتدر وسروره فى اعلانه بعد تسلمه مرسوم الوزارة تاييده للخليفة وتجديده لبيعته بعد تغلبه على ابن المعتز وذلك على غير العادة الجارية والمعمول بها فى شأن حفل تنصيب الوزراء ، اذ يكفيه حسبما تقتضيه الرسوم أن يكون ماثلا بين يدى الخليفة معلنا أمام الحاضرين قبوله للوظيفة تمهيدا لتسليمه المرسوم ومنحه للخلعة ، وأورد ابن طباطبا(٣١) ما يفيد بان رغبة المقتدر فى تقليده الوزارة انما جاءت بعد تلك الوقفة المؤيدة والمشجعة لاختياره للخلافة ، كما ان قدوم أبى الحسن بن الفرات على هذا النهج فور تسلمه المرسوم انما ينم عن أدراكه بهذا السبيل .

وترى انه من البديهى أن يحرص الخليفة على مؤيدية ، حتى اذا قضت الظروف بعزلهم ، اذ به يتلمس الأسباب لاعادتهم مرة أخرى ، وهكذا كان مرسوم الوزارة الذى استصدره الخليفة المقتدر للوزير أبى الحسن بن الفرات ينتهى العمل به وسرعان ما يعود الخليفة لتجديده مرة ثانية وأخرى ثالثة .

على ان كثرة استصدار المراسيم وانتهاء العمل بها بين حين وآخر يكمن فى اخفاق الوزير فى العمل على تلبية مطالب الخليفة والاتراك من جهة ونفقات كبار الموظفين من الكتاب والحجاب وأعمال الدواوين من جهة أخرى .

وكان لجوء الخليفة المقتدر الى عزل الوزير أبى الحسن بن الفرات مرتين انما يعنى اخفاق هذا الاخير فى العمل على تحقيق ما جاء بالمرسوم الذى كان يتضمن تقليده الوزارة ومباشرة أعمال الدواوين(٣٢) وكانت هذه الاحيرة فى غالب الاحايين وراء عوامل النشل فى سياسة

(٣١) الفخرى : صفحة ١٩٥ .
(٣٢) مسكوية : تجارب الأمم ، ج ٥ ، ص ٨ ، أنظر

الوزراء فى عهـد الخليفة المقتدر بالذات ، ذلك ان الضرورة تقضى امام الوزير باهمية أن تكون ميزانية الدولة من ايرادات ومصروفات من خلال عمله بمباشرة اعمال الدواوين مسـتوفاة لمطالب كافة العناصر بحاضرة الخلافة فى وقت يكون فيه القواد قد حصلوا فيه على أكبر قدر ممكن من الثروات ، على أن فشل الوزير فى الوصول الى ذلك كان سبيلا لنهاية العمل بالمرسوم الذى استصدره الخليفة للوزير ؟ وفى تلك الحال يكون محتوى المرسوم الذى يوليه الخليفة لشخص آخر بعينه بديلا عن سالفة ما ينص على ضرورة قيامه بمناظرة الوزير المعـزول فى أمواله وثرواته وبما يستوجب ذلك من فرض المآخذ التى كانت وراء فشله فى تغطية أبواب المصروفات والارزاق ، وأوضح لنا هلال ابن الصابىء(٣٣) أن المقتدر خصص سنة ٢٩٦ لابى الحسن بن الفرات من يناظره فى شأن اخفـاق سياسته بعد عزلة من الوزارة للمرة الاولى .

وكان من وراء هـذه السياسة أن اتسم عهد الخليفة المقتدر بكثرة العزل بين أصحاب مرتبـة الوزارة وبالتالى كثرة المصـادرات اعمالا لنصوص المرسـوم .

وكان الحفل الذى يعد خصيصا للوزير يتكرر العمل به ـ بطبيعة الحال ـ اذا ما اعيد الوزير الى الوزارة للمرة الثانية أو الثالثة ، وفى تلك الحال يكون الحفل على قدر من الروعـة والبهاء تأكيدا واظهارا لكفاءة الوزير الذى دعت الحاجـة الى عودته مرة أخرى ، وأورد هلال ابن الصابىء (٣٤) ، وصفا للحفل الذى أقيم لابى الحسن بن الفرات عند تسلمه لمرسوم الوزارة للمرة الثانية بمـا يجسـد لنا حاجة الخلافة الى كفايته وحسن تدبيره ، ذلك أنه لم يقتصر الامر على وصـول الوزير أبى الحسن ابن الفرات الى دار الخلافـة وتقليده النظر فى الامـور ،

---

(٣٣) تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ، ص ٣١ وما بعدها .

(٣٤) تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ، صفحة ٢٦١ وما بعدها .

وتسلمه الخلعة ، وركوبه الى دار الوزارة (٣٥) على ما جرت به العادة بل حرص الخليفة المقتدر أن يرسل الى دار وزارته مال وثياب وطيب وطعام وأشربه وثلج (٣٦) .

والأمر الجدير بالاعتبار أن أبا الحسن على بن الفرات كان يدأب على آداء رسـوم خاصـة وكان يقيم الاحتفالات بدار الوزارة فى كل يوم حتى صـار ذلك تقليدا وعرفا جرى العمل به شانه فى ذلك شأن ما كان متبعا من رسـوم الوزارة العامة التى كان يحرص الخليفة على اقامتها .

ومن ذلك انه كان يدعـو فى حضوره كل ليلة المقربين من سـائر الرجال على سماط بغرض المؤانسـة والمحادثة ، وكان بعد الفراغ من السماط ينتقل الحاضرون الى مجلس خاص اقيم خصيصا للغسل والتنظيف من آثار الأطعمة ، وكان ينتهى الحال بهم الى مجلس ثالث بقصد منح الهدايا والثلج على أصحاب الدواوين والكتاب (٣٧) ويحدثنا هلال بن الصابىء (٣٨) أن أبا الحسن على بن محمد بن الفرات رسم فى وزارته الثانيـة (أن يدعى أبا الحسن موسى بن خلف وأبو على محمد بن على بن مقلة وابو الطيب محمد بن أحمد الكلوذانى وأبو عبد الله محمد بن صالح وابو بشر عبد الله بن الفرخان النصرانى وأبو الحسين سعيد بن ابراهيم النصرانى ، وأبو منصور عبد الله ابن جبير النصرانى وأبو عمرو النصرانى فى كل يوم الى طعامه فكانوا يحضرون مجلسه فى وقته يقفون من جانبيه وبين يديه ، ويقدم الى كل واحد منهم فيه أصناف الفاكهة الموجودة فى الوقت من خير شيىء ، ثم يجعل فى الوسط طبق كبير يشتمل

---

(٣٥) هى الدار المعروفة بدار سليمان بن وهب .
(٣٦) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، صفحة ١٣٦ .
(٣٧) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه / صفحة ٢٦١ - ٢٦٢ .
(٣٨) المصدر نفسـه والصفحات .

على جميع الأصناف ، وكل طبق فيه سكين يقطع بهـا صاحبه ما يحتاج الى قطعه ... ، فاذا بلغوا من ذلك ... واستوفروا شيلت الأطباق وقدمت الطسوت والأباريق ... واخـذ القوم فى الأكل وأبو الحسن بن الفرات يحـدثهم ويباسطهم ويؤانسهم ، فلا يزال على ذلك والألوان توضع وترفع من ساعتين ثم ينهضون الى مجلس فى جانب المجلس الذى كانوا فيه ويغسلون أيديهم والفراشون قيام يصبون المـاء عليهم ، والخدم وقوف على أيديهم المناديل الدبيقية ، ورطليات (٣٩) ماء الورد لمسح أيديهم .. فمن من الكتاب حاجة قام اليه وخاطبه فيها وسأله اياهـا « ثم يخرج وظائف (٤٠) الكتاب وغلمانهم والخزان (٤١) ومن دونهم وسائر من جرت عادته بالوظيفة على طبقاتهم واتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على أصحاب الدواوين والكتاب والمقيمين فى الدار » .

ومن بين الرسوم التى اعتاد عليها أبو الحسن على بن الفرات انه كان يخرج من داره فى موكب جليل القدر الى دار السلطان (٤٢) يومى الاثنين والخميس وبين يديـه الكتاب حتى اذا قابل الخليفة ماثلا بين يديه عرض عليه شئون مرتبته ، وسرعان ما يعود بعد ذلك فى موكب الى دار وزارته وبين يديه الكتاب (٤٣) .

وكان من الرســوم التى حرص على اقامتها أبو الحسن على بن الفرات انه اذا عاد بموكبه الى دار وزارته بعد مقابلة الخليفة يأمر كتابه بالحضور الى مجلس بداره للتشاور معهم فيما دار من حديث مع الخليفة ، وجرت العادة أن يقوم الكتاب بعد ذلك بالنظر فى الأعمال ، ويعطى كل

---

(٣٩) لعلها أوان سعتها رطل (هلال الصابىء المصـدر نفسه ، ص ٢٦٢) .

(٤٠) تعنى مقرراتهم من الطعام وغيره .

(٤١) بضم الخاء و (ز) مشـددة .

(٤٢) أعنى به قصر الخلافة .

(٤٣) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه صفحة ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

منهم ما يتعلق بديوانه ، ويظل الأمـر على تلك الحال الى أن ينتهى المجلس باعداد السماط ، الذى ينصرف بعد فراغه الحاضرون بانصراف الوزير الى منامه (٤٤) .

ومن التقاليد التى حرص أبو الحسن على بن الفرات عليهـا انه كان يرسم ـ لدار منامه ـ بتعيين مـوظف خاص يسمى صاحب الدواه يستكتبه فى الأمور الطارئة والعاجلة فضلا عن غلامين من غلمانه (٤٥) .

ومما يجـدر ذكره ان هناك من اللقاءات التي كان يعقدها الخليفة بوزيره أبى الحسن بن الفرات يومى الاثنين والخميس ما يحدث فتورا بين الرجلين ، وفى تلك الحال كان الموكب الذى يصاحب أبا الحسن أيام الخصومة على غـير العادة ينقصه الرونق والبهاء الذى كان سائدا فى مواكب الوزير التى تنم عن توطيد العلاقة بين الخليفة ووزيره ، حتى بلغ الأمر ببعض الكتاب أن رغبوا فى عـدم الظهور والمشـاركة فى موكب أبى الحسن الى دار السلطان لعلمهم بتلك الوحشـة التى دبت بين أبى الحسن والمقتدر ، ويذكر هلال بن الصابىء (٤٦) أنه لمـا كثر الارجاف بأبى الحسن بن الفرات آخـر وزارته الثانية (كان كتابه اذا ركب فى يومى الاثنين والخميس الى دار السلطان استتروا ، واذا عاد الى داره ظهروا ، وحضروا) .

أما قيام أبى الحسن بن الفرات فى اسناده الأعمال الى الموظفين ، فقد أجرى لها رسوما ، وجرت العادة ان يتولى النظر فى ذلك عند تقلده الوزارة ، ومما يذكر أنه لما تقلد الوزارة الأولى (أجرى كلا من حجابه وكتابه واصحـابه على رسمهم وأقرهم على مـا كانـوا يتولونه من

---

(٤٤) هلال بن الصبائى : (المصدر نفسه) صفحة ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
(٤٥) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه صفحة ٢٦٤ .
(٤٦) المصدر نفسه : ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ انظر .

امره) (٤٧) وكان من الرسوم التى فرضها أبو الحسن أن يغدو اليه الكتاب حيث يحدثهم فيما يتعلق بديوان كل منهم ، ويفرض وصاياه عليهم ، واقبل على تخصيص مجلس فى داره يحضره كل من يريد أن يعرض عليه ما يتصل (بالنفقات والتسبيبات (٤٨) والاطلاقات والحسابات) ، وجرت العادة أن يفرغ من مجلسه فينهيه بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين) (٤٩) ٠

ومن بين ما أجراه فى دار الوزارة من رسوم أنه اسند الى ثقاته من الكتاب مهمة النظر فى رقاع المظالم التى تصل اليه من العمال والقضاة أو الأمراء وأهالى النواحى (٥٠) ٠

وكان أبو الحسن بن الفرات يرسم بعقد مجلس للمظالم كل يوم احد يحضره الكتاب ، ويتولى هو بنفسه مهمة النظر فى الرقاع التى كانت بحاجة اليه للنظر فيها فى حين كان يسند مهمة النظر فى الرقاع التى يمكن مراجعتها وفحصها دون الرجوع اليه الى نفر من كتابه المقربين ، ومن بينهم على سبيل المثال « على بن مقلة » (٥١) ٠

وقصارى القول ان وزارة أبى الحسن بن الفرات اتسمت برسوم وتقاليد خاصة كان لها من الاستمرارية طيلة الفترات الزمنية الثلاث وهى تتباين فى مظاهرها بين الحفلات والمواكب والمجالس ٠

---

(٤٧) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ٢٥٩ ٠

(٤٨) يعنى بها أحوال أعوانه واطلاقاتهم المالية التى يجريها عليهم الوزير ٠

(٤٩) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ٢٥٨ ٠

(٥٠) كانت هذه الرقاع تتناول مظلمة باعثيها حول تغيير رسم بشان الرواتب أو زيادة مقدار معين من الخراج على جهة بعينها أو شكوى فى شان مساوىء الكتاب والاقارب من أهل الوزير ٠

(٥١) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ١٢٢ ـ ١٢٤ ٠

اختصاصات أبى الحسن بن الفرات وسياسته الداخلية :

لم يكن تقليد الخليفة المقتدر الوزارة لأبى الحسن على بن الفرات قد جاء وفق ميوله على أثر وقفته ومساهمته فى القضاء على فتنة عبد الله ابن المعتز (٥٢) فحسب ، بل امتد ذلك الاختيار بحيث صار أكثر شمولا واتساعا لما تمتع به أبو الحسن من خصوصيات تنبىء بكفايته ودرايته فى أعمال الادارة ، ومقدرته فى الاشراف على الدواوين ومعرفة الكتاب وسائر الرجال من الموظفين والقواد بحسن تصرفه من خلال ما أسهم به من أعمال واضطلاعه بالمهام التى تولاها فى الفترة السالفة على توليه الوزارة مما ألجأ المقتدر بضرورة اختياره .

والمعروف أن أبا الحسن على بن الفرات كان ينتسب الى أسرة فارسية (٥٣) عريقة معروفة بخبرات أبنائها فى تصريف شئون النظم الادارية واستقصاء الأحوال المالية ، ونذكر من بين أفراد هذه الأسرة أخوه « العباس » (٥٤) وزير الخليفة المعتضد ، وأخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد بن الفرات الذى أبى قبول منصب الوزارة (٥٥) وابن هذا الأخير أبو الفتح الفضل بن جعفر المعروف بابن حنزابه » الذى تولى الوزارة فى عهد المقتدر فى ربيع الآخر سنة ٣٢٠ هـ «(٥٦) وظل بها الى أن قتل المقتدر فى شوال سنة ٣٢٠ هـ ، غير أنه عاد اليها سنة ٣٢٥ هـ فى عهد الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) ، وكان ابنه

---

(٥٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ١٩٥-١٩٦

(٥٣) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، صفحة ٧٢ .

(٥٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، ويذكر ابن خلكان أنه توفى فى رمضان سنة ٢٩١ هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ، ص ٤٢٤) .

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ص ٤٢٤ .

(٥٦) ابن خلكان : المصدر نفسه جـ ٣ ص ٤٢٤ .

الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر وزيرا لبنى الاخشيد فى مصر فى عهد امـارة كافـور (٥٧) ٥

كمـا أن أبـا الحـسن علـى بن الفرات كان من غـير أصحـاب الطيالس (٥٨) وقواد الجند الأمر الذى صار شائعا فى وزراء ذلك العصر حيث كان القليل منهم تتوفر فيه الصفة الحربية وتؤكد النصوص التاريخية التى أمدنا بها هلال بن الصابىء (٥٩) أن أبا الحسن بن الفرات قـد بلغ شأوا عظيما بنفاذ رأيه فى ترتيب الأموال الخراجية من خلال تنظيمه ومتابعته للدواوين فى صـورة تظهر ذاتيته فى هـذا المجال الأمر الذى مهد له سبيل ادخال بعض الاضافات على النظم الادارية ، كاستحداثه لبعض الدواوين ومتابعة القائمين عليها ٠

والحق أن أبا الحسن بن الفرات عاش حياته قبل توليه الوزارة أيام المقتدر متابعا ومباشرا لنظم الدولة المـالية والادارية ومما يسر له سبيل هذا الاتجاه مزاملته لأخيه العباس وزير المعتضد الذى فاق أهل زمانه فى معرفته بالحساب والأعمال ، وفى ذلك يذكر هلال بن الصابىء (٦٠) (كان يتتبع أبا العباس أخاه وينوب عنه الى أن توفى ٠٠٠ فتقلد الأعمال رياسـة ٠٠٠) وينهض ذلك تفسيرا لذلك النجاح الذى لازمه حينما ولاه الخليفة المقتدر الوزارة) وفوض اليه النظر فى الدواوين حتى اطلق يده فى أتباع سياسة العزل والتولية بين الكتاب وأصحاب الدواوين (٦١) ٠

ومن المهام التى كان يتولى أبو الحسن على بن الفرات الاشراف عليها قبل تولية الوزارة مباشرته لديوان الدار الذى استحدثه أخـوه

---

(٥٧) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ١ ، صفحة ٣٤٦ وما بعدها ٠

(٥٨) نعنى بهم هـؤلاء الخواص من العلماء والمشـايخ الذين يعرفون بعلامة مميزة على اكتافهم تسمى الطيلسان ٠

(٥٩) المصـدر نفسه : صفحات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ٠

(٦٠) المصـدر نفسـه ، صفحة ٢٨ ٠

(٦١) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ١٤٩ ٠

« أبو العباس » (٦٢) ، وجمع اليه سـائر الاعمال ، وأشرف بالنظر على هـذا الديوان على كافة احوال الولايات المـالية والادارية (٦٣) وكان يعمل فى حضـوره وبمباشرته لأعمال هـذا الديوان رجال لمسـوا كثيرا من اضطلاعه ، وصاروا فيما بعد على أثر ذلك من بين رجـال الـدولة ، ومن بينهم على بن عيسى ، وأبو عبـد الله محمـد بن داود الجراح اللذان كان يجلسان بحضرته ويقبلان منه الأمر والنهى حتى صار لهما استاذا اذ ذاك على رسم أصحاب الدواوين ، وليس أدل على اهمية ذلك الـدور الذى كان يؤديه أبو الحسن بن الفرات قبل توليه الوزارة من ان على بن عيسى أقر معترفا أمامـه أيـام وزارته الثالثة والأخيرة بأنه صار عبدا له وصنيعه أحبه أبى العباس (٦٤) .

ومما ينهض دليلا على تلك المكانة التى تبوأها أبو الحسن على ابن الفرات بين أهل زمانه ما حدثنا به هلال بن الصابىء (٦٥) عن أبى الحسن بن هشام فى شأن رأى أبى العباس أحمد بن عبيد الخصيبى(٦٦)

---

(٦٢) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ؛ صفحة ١٤٨ .

(٦٣) كان هذا الديوان يضم بداخله سائر أعمال الولايات المـالية والادارية ، حيث الحق به منذ عهد الخليفة المعتضد دواوين الولايات بحاضرة الخـلافة بفرعيهـا « الأصـل » الـذى كان يختص بالادارة « والزمام » الذى اختص بشئون المـال ، وقسم هـذا الديوان أقساما ثلاثة وهى « ديوان المشرق » « وديوان المغرب » « وديوان السواد » (العراق) ، ووضع المعتضد أزمـة هـذا الديوان فى يد رئيس واحـد كما أسند الأصول كلها لرئيس آخر ، وبذلك أصبحت ادارة الدولة تنقسم الى ما يشبه وزارتين احدهما الشئون الداخلية وهى « ديوان الأصول » والأخرى للشئون المـالية وهى « ديوان الأزمـة » وظل هـذا النظام معمولا به حتى أواخر عهد نفوذ الاتراك . (محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضـارة ، صفحة ٩٩) .

(٦٤) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

(٦٦) استوزره الخليفة المقتدر سـنة ٣١٢ بعد عزل أبى القـاسم عبد الله بن محمد عبيد الله الخاقانى .

فيما ذكره عن وزراء المقتدر الذين سبقوه ، فجاء فى حديثه ما نصه (كان ابن الفرات ـ يقصد أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ـ نافذا فى عمل الخراج وتدبير البلاد وجباية المال وافتتاح الاطراف ، واليق من على بن عيسى فى سياسة الملك ، وكان على بن عيسى كثير التدين شديد التصون ٠٠٠٠) ٠

يتضح لنا مما تدقم ان استطابة أبى الحسن على بن الفرات لأعمال الدولة قبل توليه الوزارة كان مدعاة وسبيلا لان يرقى الى تبوا أكبر المراتب الوظيفية ، ومن ثم كان توليه لمرتبة الوزارة ثلاث مرات أمرا طبيعيا ٠

ويجدر بنا فى معرض حديثنا عن اختصاصات الوزارة فى عهد أبى الحسن على ابن الفرات ان تشير الى سياساته الادارية التى توضح ذاتيته وكان ينشد من ورائها بسط سيطرته ٠ من ذلك انه أمر بنقل الدواوين الى دار سليمان بن وهب التى اتخذها مقرا لوزارته ٠

ومن ذلك أنه كان يحرص على ان يولى النظر فى الأعمال رجالا ممن يثق فيهم ، فيطلعهم بأموره وأسراره ، ومن بينهم ـ على سبيل المثال ـ « عبد الله بن فرجوية » « وأبى على محمد بن على بن مقلة »٠

ومن ذلك أنه فرض لوزارته جهازا يضم ولده واقاربه ، واستخدمهم فى مكاتبة العمال بحمل المرافق والاستيلاء على أموال المصادرين(٦٧) فضلا عن متابعة أعمال الدواوين التى جعلها لولده المحسن أيام وزارته الثالثة ، وسمح له بان يشارك فى مجالس المناظرات التى عقدها بأمر المقتدر اذ ذاك فى شأن المعزولين مما اتاح له فرصة المساهمة فى تدبير شئون الملك ، اذ كان يشارك برأيه فى مساوىء الوزير المعزول ،

---

(٦٧) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٣٨ ٠

وما ارتكبه من اخطاء فى حق الأعمال وخراج البلاد وأموال المرافق فضلا عن تباطئه فى درء أطماع الخارجين(٦٩) ٠

ومن ذلك ـ أيضا ـ ان أبا الحسن بن الفرات بدأ ازاء رغبته فى فى التمكين لنفسه أن يجعل لوزارته جهازا آخر يضم الفراجلة وهم السعاة وناقلوا الرسائل وكان يستخدمهم أداة للتجسس بقصد الوقوف على أحوال العمال والكتاب والموظفين(٦٩) ٠

ومن ذلك أنه كان حريصا على أن يتولى النظر فى عقد الضمان على النواحى رجال من غير الجنود ، وغيرهم من الذين دابوا على العصيان ، وهكذا كان ضمان النواحى من التجار الأثرياء بناحية بعينها أو عاملا ، أو من أثرياء القوم المستوطنين بمكان يعينه ويراد ضمان ناحيته وكان يشير على كتابه فى شأن جباية ضمان الصدقات بنواحى الولايات ان يسيروا وفق هذا النهج عند اختيار المباشرين فى هذا السبيل(٧٠) ٠

ومن ذلك ـ أيضا ـ حرصه على عدم جباية خراج النواحى اذا ما دعت الضرورة الى تعمير الأرض أو اصلاح بها فى حالة اذا ما منيت بازمات واذا ما لجأ الفلاحون الى حفظ الغلال درءا للاخطار ، ولنضرب مثلا بكاتبة عبيد الله يحيى فى أيام وزارته الثانية الذى أمره ان يكتب الى عمال النواحى فى مثل هذه الظروف مرسوما اعفائيا بهذا الخصوص ومما جاء من اشارات هذا المرسوم (اغلقوا أبواب دواوين الخراج وأصرفوا المستخرجين من حضرتكم) (٧١) ٠

---

(٦٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ٥ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ أنظر ٠
(٦٩) هلال بن الصائى : المصدر نفسه ، ص ٧٧ و ٧٨
(٧٠) هلال بن الصابى : المصدر نفسه ، ص ٨٢
(٧١) هلال الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٨٣ ٠

ومن ذلك حرصه على أن ترفع اليه أخبار اعمال الاصلاح وعمارة الجسور من عمال النواحى ليقوم بالتوقيع عليها ويأمر الجهة التي اختصت بذات الشأن من عمل الدواوين بالمتابعة والمباشرة حتى يمكن تقدير القيمة الخراجية بما يناسب أحوال هذه الجهة أو تلك بعد خصم نفقات الاصلاح(٧٢) .

وأما اختياره لاصحاب الدواوين ، فقد وضع له ضرورة ان تتوافر فيهم الكفـــاية والدراية(٧٣) حتى انه لم ير حرجا فى ان يقلد ديــوان الجيش أيام وزارته الثالثة لأحد النصارى دون النظر الى معارضة كبار رجال الدولة(٧٤) ومما يجدر ذكره أن الخليفة المقتدر كان لا يعنى فى بدء قيامه بالخلافة باستخدام اليهود والنصارى فى أعمال الدولة باستثناء الطب والجبذة (٧٥) .

ويتجلى لنا رغبة أبى الحسن بن الفرات فى اختيار كتابه من بين الثقاة ، من حديثه الى أبى الحسن بن قرابة أحـد خاصته فيما يريده من الكاتب ، قائلا له أنه (من وازن من الكتاب المحاسبة ، واوضح الحجة فى المكاتبــــة ، والزم العـــامل الواجب فى المعـــاملة كان حقيقـــا بما انتسب اليه) (٧٦) .

وكان لجهود أبى الحسن بن الفرات الموفقة فى متابعة الكتاب أكبر الأثر فى اثراء خزائن الدولة بالأموال حتى أنه لم يستطع أحد من عمال

---

(٧٢) هلال ابن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٨٢

(٧٣) ابن الأثـير : الـكامل فى التـاريخ ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ ذلك على عكس مما جرى من أحوال الوزارة أيام أبى على محمد بن يحيى ابن عبيـد الله بن يحيى بن خاقان الذى تولى بعـد عـزل أبى الحسن من وزارته الأولى .

(٧٤) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

(٧٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

(٧٦) هلال بن الصابى : المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

النوبختي ازاء هيمنته ان يتباطأ في ارسال ما عليه من ضمانات مالية ونذكر على سبيل المثال ان يوسف ابن ابى الساج (٧٧) عامل أذربيجان(٧٨) كان شديد الحرص في ارسال ما عليه من ضمانات أيام وزارة ابى الحسن بن الفرات الاولى ، وكان عليه مال يؤديه الى دار الخلافة سنة ٢٩٩هـ غير أنه لما علم بعزل بن الفرات ابقى على المال وظل على تلك الحال دون ارساله أيام وزارة محمدين يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكذا ايام وزارة على بن عيسى (٣٠١ - ٣٠٤هـ) وهكذا بقى مسترشداً بما فويت به نفسه الى ان ولى ابو الحسن بن الفرات الوزارة للمرة الثانية : فاقبل على أداء ما عليه(٧٩) .

وكانت سياسته المالية تجاه الخليفة المقتدر تنهض بالعناية والاهتمام مدركا أنه لم يستطع أن يسوس أموره بمناى عن تغطية مطالبه ، فاستحدث ٣٠٤هـ في وزارته الثانية ديوان المرافق(٨٠) وخصصه لجمع

---

(٧٧) تولى عدة وظائف في عهد الخليفة المعتضد حينما كان أخوه محمد بن أبى الساج عاملا على اذربيجان اذ ذاك وكان معروفا بحسن طاعته للخليفة ، وكان قد ولى الحرب والصلاة والقضاة بتلك الناحية أيام وزارة ابن الفرت الأولى - (ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص١٥٤ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ص ٣٥٠) .

(٧٨) أذربيجان : تقع ضمن اقليم الرحاب الذى أجمله المقدسى في ثلاثة اقاليم أرمينية والران وأذربيجان ، ويحيط بأذربيجان مما يلى المشرق الجبال والديلم وغربى بحر الخزر ، ويحيط بها مما يلى المغرب اللان وشىء من حد الجزيرة ، ومما يلى الجنوب حدود العراق وشىء من حدود الجزيرة ، ومن أكبر مدنها أردبيل ، ومن بحارها ما يعرف ببحيرة أرمية .

(الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٠٩ وما بعدها - المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٤ ، وما بعدها) .

(٧٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٥

(٨٠) من الدواوين التى اختصت بالشئون المالية ، وكان يشرف عليه الوزير ضمن اشرافه على الدواوين ، وظل على تلك الحال الى أن عين له الخليفة المقتدر في سنة ٣١٩هـ كاتباً للاشراف عليه .

(مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٥ ، ص ١٣٨ ، أحداث سنة ٣١٩هـ)

الأموال من عمال النواحى برسم المنافع العامة ، وكانت رغبته فى تثبيت هذا الديوان سبيلا لاحتواء مقاصد قصر الخلافة درءا للمخاطر التى قضت بعزله من وزارته الاولى ، وكانت معظم الأموال التى جباها برسم المرافق قد احالها الى الخليفة ومما يذكر أنه ضمن للخليفة المقتدر وامه كل يوم من هذه الجهة الفا وخمسمائة دينار(٨١) ٠

وكان حرص أبى الحسن بن الفرات فى متابعة جباية المرافق من سائر النواحى عظيما الأمر الذى ادى الى تلك الكثرة التى احدثتها اموال المرافق بخزائن الدولة ، ومما يذكر أن أبا الحسن لم يعف أى جهة من اداء المرافق الا هؤلاء اللذين ستثناهم لما حظوا به من عناية الخليفة ومما قيل أنه أعفى سنة ٣٠٤ هـ من اداء المرافق كل من أبى الحسين وأبى الحسن بن أبى البغل اللذين كانا على اصبهان(٨٢) والبصرة لعناية ام موسى قهرمانة دار المقتدر بهما ، على حين انه ناظر فى بدء وزارته الثالثة على الخاقانى وعلى بن عيسى بالمطالبة فيماكان عليهما من ضمانات باداء هذه(٨٣) القطيعة ٠

---

(٨١) مسكوية : تجارب الامم ، جـ ٥ ص ٤٢

كان منها للمقتدر كل يوم الف دينار ، وللسيدة فى كل يوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلث وللاميرين أبى العباس وهرون ابنى المقتدر فى كل يوم مائة وستة وستون دينارا وثلثا (مسكوية : المصدر نفسه ، ٥ ص ٤٢ ٠

(٨٢) بفتح الهمزة ، وهى مدينة من اعلام المدن بنواحى الجبل فى آخر الاقليم الرابع ، وسميت باصبهان بن قلوج بن سام بن نوح عليه السلام وقيل أنها اسم مركب ، الأصب وهو البلد عند الفرس ، وهان تعنى الفارس ، لتصير اصبهان فى معناها بلسان الفرس اشارة الى أنها بلاد الفرسان ومما قيل ان اصبهان اسم مشتق من الجندية حيث ان اصبهان يقابلها بالفارسية اسباهان جمع أسباة وهى اسم للجند (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ص ٢٦٦ – ٢٧٠) ٠

(٨٣) مسكرية : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٤٢

أما سياسته المالية تجاه الاتراك ، فقد تباينت ، ففى الوقت الذى كان يعمل فيه على مما لأنهم وكسب ودهم لعلمه بانه تبوأ مرتبته بتأييد منهم ، نراه يسعى لتقويض نفوذهم لبسط سيطرته وتثبيت ذاتيته ، غير أنه كثيرا ما كان يفشل فى هذه الأخيرة بفعل تغلغل نفوذهم وفعالية نشاطهم وسلبهم لسلطان المقتدر وعلى سبيل المثال أنه اشار فى وزارته الأولى بمنع خروج مؤنس الخادم كبير القواد على رأس الجيش المتوجه الى فارس لقمع حركات التمرد ، فنفر منه مؤنس(٨٤) ، وظل على تلك الحال ، الى ان أوعز الى الخليفة بعدم أختياره للقيام بالوزارة فى سنة ٣٠٠هـ بعد عزل أبى الفتح الخاقانى عنها ، وتم له ما أراد ، حيث عدل الخليفة عن رأيه واستوزر على بن عيسى(٨٥) وفى ذلك يذكر ابن الأثير(٨٦) فى احداث سنة ٣٠٠هـ أنه (ظهر للمقتدر تخليط الخاقانى وعجزه فى الوزارة ، فأراد عزله واعادة أبى الحسن بن الفرات .. فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره عنه لأمور ، منها انفاذ الجيش الى فارس ، مع غيره واعادته الى بغداد) .

ولقى أبو الحسن بن الفرات ازاء مطامع الاتراك اضرارا جسيمة وبلغت هذه الاضرار حدا حتى بلغ الأمر بهم الى أن اوعزوا الى الخليفة بعزلة مما ينهض تفسيرا فيما يكمن وراء ظاهرة عزله اكثر من مرة ، ومما يذكر أنهم اكثروا من الوشاية به عند الخليفة واوغروا صدره - وبالذات فى تلك الفترات التى يسعى فيها ابن الفرات لتاخير مطالبهم ، ومما يجدر ذكره انهم دبروا عزله من وزارته الأولى سنة ٢٩٩هـ فاشاروا على المقتدر بانه كاتب الاعراب لدخول بغداد ونهبها

---

(٨٤) ابن الأثير : : المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٤١ .

(٨٥) كان فى مكة فى ذلك الحين ، فاشار مؤنس الخادم على المقتدر باستدعائه وتقليده الوزارة .
المصدر نفسه ، جـ ٦ ص ١٤١) .

(٨٦) الكامل فى التاريخ جـ ٦ ، ص١٤١ .

ولم ير الخليفة غضاضة ازاء طغيانهم من تحقيق رغبتهم(٨٧) وانتهى الامر بنهب دوره والتنكيل بأسبابه وحرمه (٨٨) ٠

كان ضروريا أن يسعى أبو الحسن بن الفرات ازاء المخاطر التى ألمت به باتباع سياسة ينشد من ورائها نجاحا ملموسا فى ادارة أجهزة الدولة الادارية بوصفه وزيرا مضطلعا بمهامها فى وقت كان عليه بالضرورة أن يسعى الى درء ذلك التقارب الماثل بين الخليفة وقواده الاتراك ٠

ونستخلص من اشارات المؤرخين ان ابا الحسن بن الفرات قد وجد فى استخلاص أموال النواحى والقدوم على فعل المصادرات مهما كلفة ذلك من سبيل أمرا بالغ الضرورة ليحدث التوفيق بين الاتجاهين ٠

ومن علامات هذه السياسة انه عول فى نهجه على احتواء أراضى النواحى وجباية أرزاقها استيفاء النفقات الخليفة والقواد ، حتى بلغ الامر ان رسم لعمال النواحى بتتبع الرجال موفورى الثراء ممن كان لهم بفعل مكانتهم الاجتماعية نشاط فى الحياة السياسية ، ومن ذلك مصادرته لابى عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الحصاص(٨٩) ، وكان يعمل بتجارة الجواهر والمعادن النفسية(٩٠) ، وحوت خزائنه سبعة آلاف ألف دينار(٩١) وقيل أن المقتدر أيقن أهمية هذه السياسة ، فصادر أمواله فى وقت لاحق على مقتل أبى الحسن بن

---

(٨٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٧ ٠

(٨٨) أبو المحاسن : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٧٧ ٠

(٨٩) كان له ظهور فى فتنة عبد الله بن المعتز ، فقد لمس فيه ابن المعتز الثقة والمكانة الاجتماعية فاستجاره للاستخفاء ، وعلم بذلك المقتدر ، فادركه وسلمه لمؤنس الخادم وانتهى الامر بقتله فى ربيع الآخر سنة ٢٩٦ هـ وظل المقتدر من بعد ذلك متعقبا لابن الحصاص حتى وفاته فى سنة ٣١٥هـ ابن خلكان ، المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٧٧) ٠

(٩٠) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١١

(٩١) مسكوية : تجارب الأمم ، ج ٥ ، ص ٨

الفرات ، متحصلا على ألفى ألفى دينـــار وسبعمائة ألف دينار ، ومما يجدر ذكره ان ابن الحصاص استاء من هذه السياسة التى انتهجها ابن الفرات تجاهه ، فراح ماثلا بين يديه ، مهددا اياه بانه ان لم يتراجع عن فعله لاغرى الخليفة بخزائنه املا فى (عزله) واستبداله بغير (٩٢) ، وهو أمر ينهض تجسيدا لذلك الضعف الذى زلزل أركان الدولة العباسية فى عهد المقتدر ٠

لم يكف أبو الحسن بن الفـرات عن النهـوض بسياسته استخراجا للاموال من الرجال الذين أصابهم التنكيل بالعزل أو السجن مستخدما فى ذلك حسن تـدبيره ومقـدرته فى متابعـة الخارجـين (٩٣) ، وكان قـد فـرض على المسجونين أمـوالا برسم اطـلاق سراحهم ، وبالـذات هؤلاء الذين لا يرى منهم خطـــورة على سلطانه ، ومن ذلك أنــه الزم فى وزارته الأولى القاضى يوسف بن يعقوب(٩٤) بأداء مال جليل القدر من جهته الى المقتدر مقابل تخليص ابنه أبى عمر من السجن ، وحمايته من القتل ، وقيل ان أبا الفرات طلب من الخليفة الصفح عنه وأطمعه فى ماله ومال ولده ، فتم له ما أراد ، فاخرج ابنه واعتقله فى ديوان بيت المال لقـــاء مصادرته على مائة ألف دينـــار ، وقيل أن القاضى يوسف ابن يعقوب أدى أكثره (٩٥) ٠

وكان أبو الحسن بن الفـــرات يفرض على وجوه القوم رســـوما للمصادرة بحجة تعطية أرزاق الجند واقامة لوجوه مال البيعة (٩٦) ،

---

(٩٢) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦

(٩٣) ابن الاثير : الكامل : جـ ٦ ، ص ١٧٤

(٩٤) كان يوسف بن يعقوب يلازم أبا الحســـن بن الفرات أيام وزارته الأولى وكان قد تولى سنة ٢٨٢هـ قضاء الجانب الشرقى بعد ابن عمه اسماعيل بن اسحق (مسكويه المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٤) ٠

(٩٥) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٥ ص ١٤

(٩٦) يعنى بها أموال برسم مال البيعة (بيعة الخليفة المقتدر) وكانت تفرق على الرجال من القواد والخاصة (هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٣٣) ٠

ومن ذلك اقراره بان يقوم أبى خراســان صاحب بيت المال فى وزارته الأولى يجمع مقررات مالية قدرها سبعمائة ألف دينــار من جمــوع الملاحين بجانب نهر المعلى (٩٧) .

واشــتد أبو الحسن على بن الفــرات فى اتبــاع هذه السياســة فى وزارته الثالثة ، لدرء أخطار معارضية من كبار الرجال الذين كان لهم شان يذكر فى مناهضته واستقصاء أعماله ومما ساعده على المضى قدما فى هذا السبيل أعمال ولده المحسن التى صارت مدعاة للتنكيل بمعارضيه ومما يذكر ان أبا الحسن جعل لولده سبيل التصرف فى أموال المصادرين فضلا عن تدخله فى سائر شئون أعماله (٩٨) .

ونذكر على ســبيل المثال جانبــا من المواقف التى اتخــذها أبو الحسن بن الفرات تجاه الرجال المناوئين لسياسته أيام وزارته الثالثة ، ومن ذلك مصادرته لأبى زنبور(٩٩) ردا على ما اتخذه من شدة حينما تولى مناظرته ومصادرته على خمسين ألف دينار بعد عزله من وزارته الثانية فى جمادى الأولى ٣٠٦هـ .

---

(٩٧) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

(٩٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٢٢ .

(٩٩) هو أبو على الحسين بن أحمد ، وكان من أبناء الماذرائيين الذين كان لهم فضل يذكر فى نظم الادارة والمال بمصر والشام ، وكان قد قدم مع ابن أخيه أبى بكر محمد الماذرائى ســنة ٣٠٢هـ الى مصر قبيل قدوم مؤنس الخادم اليهــا لمقاتلة العسكر الفاطمى ، وكان الى جانب ابن أخيه يقوم ببعض الاعمال التى تختص بالشــئون المالية فى مصر والشام ، وكان أبو زنبور قد نال من السعة ورغد العيش الأمر الذى دفع الخليفة المقتــدر ووزيره أبا الحسن بن الفــرات يستدعيانه للمناظرة فى شان طلب الأموال .

(الكندى . كتاب الولاة والقضاة ؟ ص ١٩٥ ــ مسكوية ، المصدر نفسه ، جـ ٢٥ ص ٦٢ ــ ٦٣) . هذا وتناولنا بالحديث سياســة ابن الفرات فى شان الماذرائيين فى معــرض حديثنا عن سياسته تجاه حــكام الاقاليم .

ومن ذلك مصادراته لهؤلاء الذين عارضوه في اختياره وزيرا ، ومما يذكر أنه صادر في وزارته الثانية القاضي أبا جعفر محمد بن اسحق الذي عارض توليه الوزارة للمرة الأولى على خمسين الف دينار ، غير انه لم يؤد الا ثلاثين الف منها ، ولما تولى الوزارة للمرة الثالثة قبض عليه وطالبه ببقية المصادرة (ثم بمثلها ثم بمثلها دفعة ثالثة بعد مكروه عسفة به) وظل به الى أن أخرجه الى البصرة حيث قتل بأمر عاملها الأصبغ(١٠٠) .

واقبل أبو الحسن بن الفرات من بعد قيامه بالوزارة للمرة الثالثة على مصادرة اسلافه ، فاقدم على التنكيل بحامد بن العباس ، واطلق يد ولده المحسن في تتبع أملاكه وضياعه بواسط - التي كان واليا عليها بعد عزله من الوزارة - فضلا عن الزامه بالاقرار عن ثرواته الدفينة التي بلغت خمسمائة ألف دينار ، وما كان لديه عند (الوجوه والشهود) ومن أموال قدرها ثلاثمائة ألف دينار (١٠١) . وظل ابن الفرات به متعقبا حتى انتهى الأمر بقتله على يد ولده المحسن(١٠٢) ، واشتد ابن الفرات في مصادرة أعوان حامد بن العباس ، ونذكر ، مصادرته لصهره أبي الحسين محمد بن أحمد بن بسطام على ألف ألف دينار ، كما أشتد في معارضته لقواد الاتراك ، فعول على الخلاص من مؤنس الخادم وأخرجه الى الرقة على سبيل النفي(١٠٣) .

وكان للاعمال التي اقبل عليها ولده المحسن تجاه أهالي بغداد أسوأ الأثر على الحياة العامة في بغداد ، حيث أكثر من أعمال السلب - وبالذات تلك الفترة التي واكبت غزو القرامطة لاطراف البلاد ، ومما

---

(١٠٠) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٥٢
(١٠١) مسكوية : المصدر نفسه : جـ ٥ ص ٩٤ - ١٠٢
(١٠٢) ابن خلكان : المصدر نفسه جـ ٣ ، ص ٤٢٢
(١٠٣) مسكوية : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٢٧

يذكر أن العامة من المنكوبين تكاثروا على ابن الفرات (يدعون عليه ويضجون) (١٠٤) .

غير أن تلك السياسة التى أقبل عليها ابن الفرات وكانت أكثرها ضراوة أيام وزارته الثالثة بفعل تدخل ولده المحسن فى توجيهها ، فضلا عن أعماله الارهابية قد آذنت بزوال بقائه قاطبة ذلك لأن هذا المناخ قد اوغر صدر الكثيرين الذين أصابهم من قبله تنكيلا ونفيا ، واضرارا مالية وغيرهم من الحجاب والقواد الذين لجأوا الى الوشاية به عند الخليفة الذى أحس هو الآخر بانحرافه وجنوحه الى تلبية مطالبه وحرصه على مقاصد ذوية دون الرغبة فى النظر الى تغطية نفقات كبار رجال الدولة مما أوجد اضطرابا فى حاضرة الخلافة ، وأدرك خصومه ضرورة الاطاحة به ، فاعلنوا فى رقاعهم الى المقتدر بخلعه واستبداله بغيره ، وبلغ الاستياء بهم حدا كبيرا حتى أبلغوا أبا الحسن نفسه بمساوئه وضعف ادارته ونذكر من بين رقاع المظالم ما ورد فى بعض رقاع أعدائه ما نصه (قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك وأهلك واقاربك وكتابك وحواشيك ، واطرحت جميع الناس واقللت الفكر فى عواقب هذه الافعال ، وما ترضى لم تنقم عليه ما تنقمه بالابعاد وتشتيت الشمل) (١٠٥) .

يتضح لنا مما تقدم أن أبا الحسن على بن الفرات منذ أن عارض العباس بن الحسن وزير المعتضد فى شأن استخلاف جعفر بن المعتضد قد عول فى سياسته لأن يسوس أمور الدولة فى ظل مناخ يتيح له بسط هيمنته (١٠٦) . غير أن هذا النهج الذى سار عليه كثيرا ما يعارض رغبة القواد وكبار رجال الدولة الذين امعنوا السيطرة على سلطان الخليفة الذى اتجه هو الآخر لتحقيق مغارمه وأهوائه ، الأمر الذى يجعلنا

---

(١٠٤) مسكوية : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .

(١٠٥) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٢٣

(١٠٦) ابن خلدون العبر ، جـ٣ ص ٣٥٩

تؤكد ان نظام الوزارة فى عهد المقتدر تواجع فى نكوص دون أقدام بفعل اضمحلال سلطان الخلافة .

وواقع الأمر أن ما إقبل عليه أبو الحسن بن الفرات من المصادرات وفرض العقوبات شأنه فى ذلك شأن غيره من وزراء المقتدر قد قلل من فعالية ذلك النجاح الذى احرزه فى تصريف النظم المالية والادارية ، ويكفى ان نشير هنا الى ان ما صار عليه من سياسات وفق ماتمليه ظروف الدولة قد أحدثت اضطرابا عنيفا فى بعض الأحيان فى الحياتين الاقتصادية والاجتماعية بحاضرة الخلافة بفعل تلك الاضرار التى ألحقها بسائر الجهات سعيا بأداء الضمانات المالية للخليفة وارضائه للقواد بالأموال (١٠٧) ، وكان ذلك على حساب ضعف ميزانية الدولة الأمر الذى أدى الى الحيلولة دون تغطية نفقات الجند ، وليس أدل على ذلك من شغب الجند وشكواهم الى الوزير أبى على محمد بن يحيى الخاقانى من نقص أرزاقهم بعد عزل أبى الحسن بن الفرات من وزارته الأولى سنة ٢٩٩هـ ويشير مسكوية(١٠٨) بان أبا على الخاقانى لم يعد فى مقدوره تلبية مطالب الجند من الأموال حتى عجز عن اطلاق أموال أصحاب التفاريق(١٠٩) والقواد (فشغبوا عليه .. واستفحل أمرهم وبسطوا فيه السنتهم ..) وكان الخليفة فى تلك الحال يسعى لاحتواء هذه المطالب ، فيأمر الوزير باطلاق أرزاقهم ، غير أن ابن الخاقانى أبدى عجزه بحجة أن الأموال المستخرجة والتى صودر عليها الوزير ابن الفرات وأسبابه كانت برغم كثرتها قد وصلت بيت مال الخاصة (١١٠)

---

(١٠٧) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٥٩

(١٠٨) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٤

(١٠٩) يعنى بالتفاريق الأرزاق التى كان ابن الفرات يوزعها على الخاصة من الرجال ، وكان يستوفيها بطريق فرض رسوم على جهات بعينها .

(١١٠) ينظر هذا الديوان فى شئون الخليفة المالية من اطلاقات واسراف ، منها على سبيل المثال انفاقه على مواسم الحج ، وما كان

ولم يكن بوسعه حق التصرف فيها ، فاضطر المقتدر الى اخراج خمسمائة الف دينار لتنفق فى الجند (١١١) .

واضيف الى ما أسلفناه تلك المخاطر التى أودت بحياة كثيرين فضلا عن ذلك الخراب الذى أصاب عديدا من الرجال وحياتهم الخاصة(١١٢) - على نحو ما أسلفناه - وظل الامر على نحو ذلك الضعف الى أن تعقبه قواد الترك نازوك ، بلبق ومفلح الأسود ومؤنس المظفر سفيع اللؤلؤى حتى قبضوا عليه(١١٣) وصادروه على ألف الف دينار(١١٤) .

يطلقه برسم استقبال المبعوثين ، وفداء الاسرى ونستخلص من هلال ابن الصابىء ان موارد هذا الديوان اعتمدت على ما كان يخصصه الخلفاء من أموال لابنائهم ، وما استخرجوه من أموال المصادرات ، فضلا عن مستقلات الضياع التابعة للخلافة .

(هلال بن الصابىء) المصدر نفسه ، ص ١٦١ - ١٦٢

(١١١) مسكوية : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٤

(١١٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، حتى ٣٧٣

(١١٣) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، ص ٨٣

(١١٤) ابن خلدون : العبر جـ ٣ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤

وزارة ابى الحسن بن الفــرات والدولة

اولا : سياسة ابى الحسن بن الفرات تجاه قصر الخلافة :

كان عهـــد الخليفة المقتدر شاهدا على استئثار القواد والوزراء بالنفوذ والسلطان ، وكان بداية النهاية لسلطان الخـــلافة العباسية ، اذ لم يعد الامــر موقوفا على خلفــاء اقــوياء ووزراء منفذين لاوامرهم بل تطور الامر حتى بات منصب الخليفة لا يشغله الا طفل عاجز ، أو أمير ضعيف يسير فى سياسته وفق ما تفرضه مطامع القــواد والامــراء ، وقد تنامى ذلك الضعف من جراء تدخل أهل القصر فى تدبير سياســة الدولة فى الداخــل ، وأورد الصولى(١) ما يفيــد بأن هذه الانعطافــة الخطيرة صارت مدعاة لنشر الجهل وضعف الجهاد حتى صــار منصب الخلافة منذ عهد المقتدر لا يشغله رجال ممن يحبون الجهاد والعلم ، والفقه والشعر ، ومن الشواهد التى تنهض دليلا على ذلك أن المقتدر تبوأ مقعد الخلافة بتأييد من ذلك الفريق الذى لا يشغله سوى الســـعى للوصــــول الى مقاصد ذاتيــــة دونما استبصار لتثبيت أركان الدولــة واستقرارها ، وكان يمثل هذا الفريق عناصر تركية(٢) .

والامر الجدير بالاعتبار ان المقتــدر قد أولى اهتمامه بحيـــاته الخاصة تاركا للوزير والقواد ادارة الدولة وسياستها فى الداخل والخارج ومن ثم كان معروفا فى أدبيات ذلك العهد بعزوفة عن أمور الدولة وحياة الناس ، حيث عكف على لذاته واقبل على مجالس الغناء وتوفر على النساء ، الامــر الذى لم يعـــد غريبا أن يترك لهن فرصــة لظهــورهن فشاركن فى ادارة أجهزة الدولة ، حتى بلغ بامه الامر أن عينت قهرمانتها

---

(١) أخبار الراضى والمتقى ، ص ٢٦

(٢) ابن الاثير : المصدر نفسه ، ج ٦ ، أحداث ٢٩٦

صاحبة للمظالم(٣) وصـــار الأمر أكثر ضراوة ان القهرمانة احكمت قبضتها بدليل انها اذا بلغ الامر بها الى حد الغضب على وزير يعينه كان مصيره العزل حتى انحطت على أثر ذلك مرتبة الوزارة ، وكثر العــزل بين أصحابها بازاء تغلب عواطف النساء ، ومما لا شك فيه ان الوزراء فى ذلك الحين لم يروا غضاضة فى العمل على درء تدخلهن بأداء الضمانات المالية رغبة فى البقاء لفترة زمنية طويلة ٠

وقد يظن البعض أن علاقـــة الوزير بالدولة تدور أول ما تدور حول صلاته برأس الدولة الذى يمثله شخص الخليفـــة ، وليس هناك بالضرورة ان تمتد هذه العلاقـة الى قصر الخلافة ذاته ، غير ان هذا الظن ينسق وفـق ما تفرضه أحوال الخـلافة القابضة المسيطرة فى حين أنه لا ينسم بالموضوعية اذا ما تناولنا بالدراسة الفترة الزمنية التى تبوأ فيها المقتدر مهام الخلافة ، ذلك ان عهده قد ساد فيه ـ على نحـــو ما اشرنا ـ الضعف بفعل وقوع الخليفة تحت سيطرة أهله وذوية(٤) ، مما الجا النظام السياسى فى الدولة بكل أجهزته لأن يسير وفق ما تفرضه مقاصد القصر(٥) وظلت الأمور فى صيرورتها على تلك الحال حتى بات اضمحلال سلطان الخلافة علامة مميزة للعهود اللاحقه(٦) وتشـــهد المنظومات الشعرية التى نظمها شعراء بغداد فى القرن الرابع الهجرى على ذلك الضعف الشديد(٧) ٠

(٣) المسعودى : التنبية والأشراف ، ص ٢٧٨

(٤) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧

(٥) Muir the Caliphate, p. 507.

(٦) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ، ص ٢٦
السيوطى : تاريخ الخلفاء ـ ص ٢٥٧

(٧) الثعالبى : يتمية الدهر ج ٦ ، ص ٣٦٢
ومن الشعراء بغداد فى القرن الرابع الهجرى « نباته الســعدى ابو نصر عبد العزيز بن محمدين نباته ، ونظم فى شان بغــداد شعرا ، نذكر منه ٠

يجوز بها وينفق كل شىء سوى الآداب طرا والعلوم

(انظر الثعالبى : المصدر نفسه والصفحة ٠

تطور الأمر من جــراء ذلك الضعف الى أن صار منصب الخليفة رمزا انحصرت خصوصياته فى سلطان الخليفة الروحى فى حين تسوس الأمور باسمه دون الرجوع اليه فى شئ(٨) ٠

ومما لا شـــك فيه انه لم يكن هناك بد من حدوث تعارض امام الوزير بين لجوئه الى تغطية مطالب القصر وسياسته العامة فى الداخل والخارج ، وبنفس القدر كان كثيرا ما يقع تحت تأثير مغارمة وتغطية نفقات حياته الخاصة ٠

ومما يجدر ذكره انه مهما بلغ الوزير قدرا من الكفاية وســـداد الرأى فى القيام بأعباء مهامة الموكلة اليه ، فانه بازاء الضعف العـــام الذى أشاعه رأس الدولة جريا وراء أهــوائه بسعى ــ هو الآخــر ــ الى اتباع سياسة تمكنه من فرض ذاتيته ٠

وعلى كل حال كانت الظروف سبيلا لأن يقبل أبو الحســـن بن الفرات على سياسة تسلك كل هذه السبل ، درءا للمخاطر ، وأعمـــالا للتهدئة وأملا فى بقائه وسعيا وراء رغباته المالية ، ذلك انه بديهيا أن يكون صلاح الرعية موقوفا على كفاءة رأس الدولة ونجـــاح سياسته ، وبنفس القدر يكون اضمحلال حال الدولة مردودة الى ذلك الأفول الذى أصاب رأس الدولة وفى ظل غيبوبته العقلية ، ومن هنا لم نر غضاضة فى التنويه بأن انعكاسات اضمحلال سلطان الخلافة ونظامها السياسى على الحياتــين الاقتصادية والاجتماعية لا تتأتى بضعف حـــال الخليفة فقط ، بل ــ أيضـــا ــ بتلك المزالق التى وقع فيهـــا الوزراء ، فكان طبيعيا أن تؤثر رغبة الخليفة وحياته بالسلب على تصرفات الوزير حتى بات بالضرورة أن يكون فساد حال الوزير من تراجع حال الخليفة ، واذا كان ذلك كذلك ، فان فساد حال الرعية يكمن بالضرورة فى فساد

---

(٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٥٨

حال الوزير ، تصديقا لحكم الواقع ، وتأكيدا لما ذهب اليه الكتاب والمؤرخون الذين تصدوا للنظريات السياسية الاسلامية وأخرجوا لنا على أثر ذلك ما سمى بعلم الاخلاق السياسى ومن بين الكتاب الذين تصدوا بكتاباتهم لهذا المجال ابن الأزرق (ت ٨٩٦ هـ) صاحب كتاب (بدائع السلك فى طبائع الملك) ٠

يشير ابن الأزرق(٩) الى أن (صلاح السلطان وفساده لازم عن صلاح الوزير وفساده وكما ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية ، واذا فسد فسدت الرعية ، فكذلك الوزير اذا صلح صلح الملك ، واذا فسد فسد الملك ، واذا كان صلاح الرعية بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بصلاح الوزير ، فصلاح الرعية بصلاح الوزير ضرورة) ٠

يتجلى لنا مما تقدم ذلك الارتباط والتداخل بين رغبات الخليفة ومقاصد وزيره والذى كثيرا ما كان يحدث فى العهد الثانى لدولة بنى العباس ، وعلى حد قول ابن الأزرق(١٠) ، بان هذه الدولة اذ ذاك (لها فى الوجود أحوال ٠٠ ففيها ازداد سمو الوزير بمصير النيابة اليه فى الحل والعقد ، وجعل النظر له فى ديوان الحسبان ، ثم فى القلم والترسيل ، فصار راسمه جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى المعاونة ، فعنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب(١١) ٠ على انه اذا كان صلاح الخليفة أو ضعفه يعكس سياسات وزيره سلبا أو ايجابا مما يعكس بديهيا أحوال الحياة العامة فى الدولة قوة أو ضعفا فى شتى المناحى الاقتصادة والاجتماعية ، فان أقول أحوال الدولة فى العهد الثانى لبنى العباس ـ وبالذات عهد المقتدر ـ لا ترجع بالضرورة الى محدودية نشاط الوزراء أو عدم كفاءتهم ، بل كان مرجعها فى غالب

---

(٩) بدائع السلك ، جـ ١ ، ص ١٧٨

(١٠) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨١

(١١) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٩٨ ، أنظر فى شأن مراتب السلطان ٠

الاحايين الى ذلك التداخل الذى نشأ بين مطالب القصر ومساعى الوزير لبسط سلطانه .

والنظرة الفاحصة الى الوزراة أيام أبى الحسن بن الفرات وعلاقتها بالدولة تبين لنا أن تلك العلاقة تقف علامة ، وشاهدا على ضعف صاحب السلطة العليا فى الدولة العباسية بالرغم من تمايز هذا الوزير وخصوصياته ، ذلك أن الشواهد التى استخلصناها من بطون الكتب تثبت ان تلك العلاقة لا يرقى للوصول اليها أى علاقة من ذات النوع ، ويشير مسكوية(١٢) انه (لما استقر أمر المقتدر فرض الأمور الى أبى الحسن بن الفرات ، فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء ، وتفرد المقتدر على لذاته متوفرا ، واحتشم الرجال واطرح الجلساء والمغنين ، ...... وتغلب على الدولة الخدم والحرم ، فمازال أبو الحسن ينفق الأموال من بيت مال الخاصة ، ويبذر تبذيرا مفرطا الى أن اللفها) .

اتبع أبو الحسن بن الفرات سياسة خاصة وفق ما تفرضه مطالب القصر فاشتد فى اطار رغبة الخليفة بالنظر فى أموال المصادرين من خلال المناظرات التى عقدها فى شان المعزولين(١٣) .

ويظهر من اشارات الكتاب ان أبا الحسن بن الفرات قد حقق نجاحا من وراء هذه السياسة ووطد علاقته بالمقتدر بسياج متين بما ينطوى على تبادل الثقة بينهما واستمر هذا الوفاق - أيضا فى تلك الظروف التى قضت بعزله وسحنه من جراء شكايات الاتراك ووشايات اعدائة من كبار الرجال (١٤) وبلغ الأمر فى مثل هذه الظروف انه كان يكاتب معاونه ممن سلموا من النكبة التى واكبت الاطاحة به بين حين وآخر حيث مضى هؤلاء للاستعانة به واستشارته اثناء عزله ، وكثير

(١٢) تجارب الأمم : ج ٥ ص ١٣
(١٣) مسكوية : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢١ أنظر .
(١٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٠ .

ما كان ابن الفرات ينتهز هذه الفرصة للوشاية بمعارضيه عن طريقهم لدى الخليفة .

ومن ذلك إن أبا بشر عبد الله بن فرجوية ـ أحد أعوانه ـ كان يواصل مكاتبة أبي الحسن بن الفرات بعد انصرافه عن الوزارة ، ويحكى مسكويه(١٥) في احداث سنة ٣٠٤ إن أبا الحسن كان يكاتب ابن فرجويه(١٦) على يد عيسى المتطبب ، وكان يجيبه عن رقاعة ويرسم له ما يكاتب به المقتدر عن نفسه في (معايب على بن عيسى وكتابه وجبايته) مؤكدا انه لم يعد بمقدوره أن يصادر احدا من عماله ، تغطية للمتأخرت من أرزاق الجند في عهده ، مبينا ما آلت اليه أرزاق الجند من نقصان هائل بما قدره خمسون الف دينار في كل شهر .

ومما يذكر ان رسائل ابى الحسن بن الفرات في شأن أخطاء على بن عيسى ومعايبه قد لقيت قبولا وارتباحا لدى الخليفة الذى بلغ به الأمر إن كاتبه في عزله بسداد رأيه وصدقه ، ولم ير بدا على إثر ذلك من اعلان رغبته بصرف على بن عيسى وعودة ابن الفرات الى الوزارة للمرة الثانية(١٧) غير أن نفور مؤنس الخادم من ابن الفرات قد حالت دون ذلك وظل الأمر على تلك الحال الى أن خرج مؤنس الى مصر دوءا للأخطار الفاطمية ، فسعى ابن فرجويه لدى الخليفة بضرورة عزل على بن عيسى واعادة ابن الفرات موضحا له أن هذا الاخير سوف يطلق للولد والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان بمثل ما كان يطلقه أيام وزارته

---

(١٥) تجارب الأمم ، ج ٥ ص ٤٣

(١٦) وكان أبو بشر هذا غالبا على الدواوين في أيام وزارة ابن الفرات الأولى ، وسلم من النكبة وقت صرفه عنها ، واستمر يعمل في عهد لاحقيه الخاقاني وعلى بن عيسى وظل على تلك الى أن تبوأ مكانته في شؤن الادارة والمال في عهد وزارته الثانية .

مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٥ ص ٤٣ و ٤٤

(١٧) مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٣

الأولى (على الغلمان والخدم والادرار) فضـــلا عما سيوفره من مال مصادرات العمال وأموال مرافقيهم بما يعادل خمسة وأربعين ألف دينار في كل شهر ، وكانت هذه المساعي في أصل رغبة الخليفة دليلا لعودة ابن الفرات(١٨) .

ومما لا شك فيه أن ذلك التواصل بين الخليفة ووزيره أبي الحسن ابن الفرات قد أسهم الأخير في التغلب على منافسيه ممن اوشوا به ودفعوا بعزله ، وليس أدل على ذلك أنه في محبسه كانت تصل اليه رسائل الخليفة في كشف معارضيه وعجز سياستهم المالية ، من ذلك كاتبه الخليفة بعد عزله من الوزارة الثانية يشكوه اختلاف الوزير حامد بن العبـــاس وعلي بن عيسى في سياستهما المالية مما أدى الى ضجيج الحاشية وتأخير أرزاق شهرين لكل من الحرم والولد والفرسان ، وأربعة أشهر في الســنة الواحدة من أرزاق الفرســان ، وبلغ الأمر بالمقتدر أن استثبت حـــامد بن العباس برقعة يضمن فيها تغطية المطالب المالية وسائر الأعمال وعرضها على أبي الحسن بن الفرات في محبسه ، وتذكر الرواية ان أبا الحسن رد على الخليفة برسالة يذكر له فيها أنه مهما بلغ حامد من كفاية ، واستجمع له من معاونيه لما كان موضعا لتدبير المملكة ، واعدا اياه بضمان خمسة أضعاف ما ضمنه حامد أن أعاده الى الوزارة ، فوعده المقتدر ، وتم له ما أراد ، فاستوزر سنة ٣١١هـ للمرة الثالثة(١٩) .

وتشير الروايات الى أن أبا الحسن بن الفرات كثيرا ما كان يبسط يده لمطالب الخليفـــة الا في القليل النادر وكان في تلك الأخيرة يواجـه أعداءه الذين نافسوه حنقا رغبة في الحصول على مرتبة الوزارة ، ولم يجد ابن الفرات في اتخاذه هذا النهج في المرات القليلة من سبيل ســوى ذلك العجز الذي أصاب ميزانية الدولة بين حين وآخر ، ولنضرب مثلا

(١٨) مسكويه : المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ٤٤
(١٩) مسكويه : المصدر نفسه ، ص ٨٥ و ٨٦

بما اضر بهذه الميزانية فى أواخر وزارته الثانية ، حيث نقصت أموال بيت مال العامة(٢٠) نقصانا هائلا من جراء ما أنفقه المقتدر على وجوه الاصلاح وما اقامته السيدة أمه من منشآت عامة كالبيمارستان الذى رتبت له وجوه من (الاطباء والخدم والقومة) (٢١) فضلا عن ذلك النقصان الهائل الذى جاء من وراء كثرة الاطلاقات لتغطية نفقات الجند الذين ابلوا بلاءا حسنا فى درء الاخطار البيزنطية(٢٢) ولم يكن أبو الحسن بن الفراتيوسعه ازاء هذه الظروف قادرا على تلبية مطالب الخليفة المالية ولنذكر هنا اشارات هلال بن الصابىء(٢٣) من ان الخليفة المقتدر قد راسل وزيره ابن الفرات فى آخر وزارته الثانية يلتمس حمل مائتى ألف دينار م نأموال النواحى غير ان أبا الحسن ازاء هذه العجز الذى ألم بميزانية الدولة – على نحو ما أسلفنا – استدعى اثنين من مستشاريه أبا الحسن موسى بن خلف وأبا بسر بن الفرخان ، فاشارا عليه بعدم تلبية مقاصد الخليفة ، مما اضطره الى أن يعلن للخليفة ضمن كتاب أرسله اليه اعتذاره بحجة ما عليه من المؤن والنفقات والاطلاقات .

والأمر الجدير بالاعتبار ان مساعى أبى الحسن بن الفرات لكسب ود الخليفة على هذا النحو قد أوجبت الضرورة ببذل الجهود لدرء المخاطر التى كانت كثيرا ما تحدث من وراء السيدة أم المقتدر وقهرمانتها

---

(٢٠) كان ديوانا يختص بتغطية نفقات مصالح الدولة العامة . وكانت ترسل اليه أموال الولايات المتبقية بعد الانفاق على مصالحها العامة ، مما كان مدعاه لأن يكون له فروع فى سائر الاقاليم ، ومن المعروف ان أموال بيت مال العامة قد نقصت فى عهد نفوذ الاتراك ، وكان نقصانها كبيرا – بطبيعة الحال – فى عهد الخليفة المقتدر ، ويكمن هذا الضعف فى تبذير الوزراء وكثرة اسرافهم واطلاقاتهم .
(اليعقوبى : تاريخ : جـ ٢ ، ص ٥٢ – هلال بن الصابىء – المصدر نفسه ، ص ١٣٢) .

(٢١) ابن كثير : للبداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٢٨

(٢٢) ابن كثير : المصدر نفسه والصفحة .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢

اللتين اثبتتا تدخلا طاغيا فى سياسة الخليفة ، ومن الثابت أن تولية ابن الفرات فى الوزارة وعزله عنها ثم عودته اليها يرجع فى كثير ن الاحيان فيما آلت اليه الأسباب والدوافع التى تدخل نساء القصر ، ومما تجدر ملاحظته أنه فى حالة تبوأه لمرتبة الوزارة كانت القهرمانة همزة الوصل بينه وبين الخليفة وأمه مما أتاح لها بأن تقوم بدور الرقيب على أفعاله واحواله الأمر الذى كان من شأنه ان يحدث شقاقا أو تقاربا ـ بينهما ـ حينا وآخر ويشير مسكويه(٢٤) فى أحداث سنة ٢٩٦ هان القهرمانة أم موسى الهاشمية كانت تقوم بعرض رسائل المقتدر وأمه على أبى الحسن ابن الفرات ، ونستخلص من المصادر ان أبا الحسن لم ير بدأ فى أن يعول على سياسة يدرء بها هذه المكانة الرفيعة ، وليس أدل على ذلك من قيامه فى سنة ٣٠٤هـ أول وزارته الثانية بالقبض على معارضيه على بن عيسى وأسبابه وأخوته وكتابه وجميع عماله بالنواحى ، ولم ينج منهم سوى أبى الحسين وأبى الحسن بن أبى البغل حيث أقرهما على مكانا يتوليانه من أعمال أصبهان والبصرة لعلمه بعناية أم موسى بهما (٢٥) ٠

ومما يذكر ان قيام ابن الفرات فى الوزارة للمرة الثانية انما جاء بعد سداد رأى القهرمانة بعزل الوزير على بن عيسى عنها لتأخيره فى أداء ما فرضته من اطلاقات للحرم والحاشية فى عيد الأضحى(٢٦) وأقر ابن الفرات بازاء ذلك ضمانا ماليا فى كل يوم قدره ألف وخمسمائة دينار الى بيت مال الخاصة كسبا لود الخليفة واسترضاءا للقهرمانة(٢٧) ٠

ونذكر ـ أيضا ـ محاولات ابن الفرات فيما اجراه من سياسة ينشد من ورائها التوازن فى صرف المقررات المالية بين حجاب القصر ومن ذلك

---

(٢٤) تجارب الأمم ، جـ ٥ ص ٢٠
ابن الأثير : الكامل ، أنظر فى شأن احداث سنة ٢٩٩
(٢٥) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٥ ، ص ٢١
(٢٦) مسكوية : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٤٠
(٢٧) ابن الاثير : المصدر نفسه : جـ ٦ ص ١٥٤

ما أقبل عليه في وزارته الأولى بابطال بعض الأرزاق المخصصة لرجـال نصر الحاجب بقصر الخلافة الذين بلغوا عشرة آلاف رجل ـ فيما نستبعده من كثرة ـ بحجة انه يجرى عليهم الزيادة وفق ما يتحصل عليه نظراؤهم من أرزاق ، لما يتيح للخليفة وذويه فائضا كثيرا يغترفون منه حينما تدعو الحاجة(٢٨) غير أن السيدة أم المقتدر كانت كثيرا ما تشد من أزر نصر الحاجب لحسن اضطلاعه بمهام الحجابة ، فغضبت من ابن الفرات الأمر الذى بات فعلا وحدثا له صداه فى وقت لاحق حتى كان مصيره العـــزل والتنكيل من جراء اخفاق سياسته أيام وزارته الثالثة(٢٩) .

ومن المعروف أن أبا الحسن قد انحرف عن سياسته ـ نسبيا ـ التى عول بها للعناية بالقصر وأهله فى وقت كثر فيه أرجاف القرامطة بأطراف الدولة ولم تفلح جهود ولده المحسن فى ممالأة الخليفة ازاء ما أحل به من غضب السيدة وقهرمانتها ، ومما قيل أن ابن الفرات قد بالغ لكسب ود الخليفة فى نهاية عهده بالوزارة الثالثة ، فسعى بنصر الحاجب ليوصى به خيرا عارضـــا عليه أخبار ثرواته ، فلجـــأ هذا الأخير الى أم المقتدر (فمنعته من ابن الفرات) ، وسعت به عند الخليفة قائلة (قد ابعد ابن الفرات مؤنسا عنك ، وهو سيفك وثقتك ، ويريد الآن انينكب حاجبك ليتمكن منك ليجازيك على ما عاملته به من ازالة نعمة .. فليت شعرى بمن تستعين عليه ان أراد بك مكروها) (٣٠) .

ويتضح من مناصحة أم المقتدر أن ابن الفرات قد تخلص من منازعة القائد التركى مؤنس الخادم ، فكان ذلك سبيلا لا فساح المجال لتغلغل النفـــوذ القرمطى كما أنه أراد أن ينكل بنصر الحاجب مما قد يحدث اضطرابا بأحوال قصر الخلافة ، فضلا عن رغبته للتمكين لنفسه مما أدى الى كثرة ارجاف الرعية به .

---

(٢٨) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٢٩) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه : ص ٥٦و ٥٧
(٣٠)مسكوية : تجارب الأمم ، ج ٥ ص ١١

وعلى كل حال فان سياسة أبى الحســـن بن الفرات أيام وزارته الثالثة والتى لم تستمر سوى عشرة أشهر قد أوجدت عند الخليفة الحاحا بعزله ، وانتهى الامر بالقبض عليه وعزله قاطبة ، ولم ير ابن الفرات سوى الاعتراف باخطائه امام المقتدر قائلا له (انى عاديت فى استيفاء حقوقك الكبير والصغير ، واستخرجت لك المال من الوثى والشريف وبلغت غاية ما امكننى فى تأييد دولتك ، ولم أفكر فى أحد مع ســـلامة نيتك ، وما قرينى منك واجتلب لى حســـن رأيك ، فلا تقبل فى قول من يريد ابعـــادى عن خدمتك ويغريك بمالا فـــائدة فيه ويدعـــوك الى ما تذم عواقبه (٣١) ٠

وصفوة القـــول أن أبا الحســـن على بن الفرات كان كثيرا ما يعنى بسياسته واضعا بحسبانه تلك المكانة الرفيعة التى احتلتها أم المقتدر وكذا قهرمانتها فى رسم سياســـة الخليفة المقتدر مما كان له أســـوأ الأثر على الوزارة فى عهده ، وبالذات الثالثة حتى انحطت مرتبتها ، وصار الأمر بأبى الحسن أن يوجه سياسته وفق ما تمليه مطالب القصر ٠

---

(٣١) مسكوية : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ٠

ثانيـا : سياسـة الوزير أبى الحسن بن الفرات تجاه عمال الولايات :

جرت العادة أن يسند الاشراف على الولايات لاولياء العهـود بعد تقسيمها فيما بينهم كما كانت عليه الحـــال أيـــام المتوكل(٢٣٢ — ٢٤٧هـ) (١) والمعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) (٢) ولم يكن للوزير ـ اذ ذاك دور فى اسناد مهمة التكليف للولاة فى ولاية بعينها فى حالة اذا ما كانت الولاية عامة(٣) على حين كان يسند اليه مهمة أختيـــار عمال نواحى الولاية ، اذا كانت الولاية خاصة(٤) . حيث كان يتدخل فى تعيين القضاة واصحاب البريد والشرطة ، وغيرهم واما أصحاب الولاية العامة فقد اطلق الخليفة لهم مهمة تعيين عمال نواحى ولاياتهم وفق ما يشاءون وحسبما يريدون حتى بلغ بهم الأمر أن انخـــذوابأمر الخليفـــة وزراء تنفيـــذ يساعدونهـــم فى ادارة شـــئون الولاية ، غير أن هذا النظـــام فى الادارة

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ١١ ، ص ٣٨ ، ٣٩

(٢) ابن الاثير : ألكامل ، جـ ٦ ، أحداث سنة ٢٧٧هـ و ٢٧٨هـ .

(٣) المـــواردى : الاحـــكام السلطانيـــة ، صـــفحات ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .

ذكر المواردى بأنها على ضربين ، امارة استكفاء بعقد عن اختيار وامارة استيلاء بعقد عن اضطرار ، والأولى تشتمل على عمل محدود ونظر معهود ، ويشتمل النظـــر فيها على سبعة أمور تدور حول تدبير الجيوش وتقليد القضاء وجباية الخراج وحمـــاية الدين واقامة الحدود والامامة فى الجمع ، وتسيير الحجيج ، وأما الثانية ، فيعقدها الخليفة للامير عن اضطرار حيث يستولى الامير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ، ويفوض اليه تدبيرها ، وسياستها ويكون الأمير بذلك مستبدأ بالسياسة والتدبير والخليفة باذنه منفذا لأحكام الدين .

(المواردى : المصدر نفسه ، ص ٢٤ و ٢٧) .

(٤) المواردى : المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

ويكون الوالى فيها مقصورا على تدبير الجيوش وسياسة الرعيـة وليس له ان يتعرض للقضاء والاحكام وجباية الخراج والصدقات ، والتى جاز للوزارة فيها الاستبداد بتقليدها (المواردى الاحكام ، ص٢٢ و٢٦)

قد أضعف من شأن تدخل السلطة المركزية فى ادارة الولايات حتى بات الأمر مقصورا على رغبة الخليفة فى الحصول على مقدار معين من الخراج يؤديه صاحب الولاية الى حاضرة الخلافة دونما تدخل من الخليفة فى موازنة ميزانية هذه الناحية أو تلك .

وبلغ ذلك التطور اقصاه فى نهاية القرن الثالث وأوائل الرابع الهجريين حيث أشتد الوزراء فى الاستبداد بسلطاتهم فى وقت تعاظم فيه نفـوذ الأتراك وصار الخليفة بين هذه وتلك حائرا لا يملك من الأمر شـيئا ، ولم يعد بوسعه السيطرة على الطامعين الذين استقلوا بالولايات وازداد نفوذ الوزراء على حسـاب هذا الضعف حتى صارت مهمة تعيين الولاة وعزلهم من الأختصاصات المنوطة بهم ومن ثم كان اختيارها موقوفا على مقاصـد الوزير صاحب السلطة ، الأمـر الذى أظهر بديهية سياسـة عـزل الولاة وفق مشـيئته مما يجسـد لنا ظاهرة تعـدد الولاة فى ناحية بعينها .

والأمر الجدير بالاعتبار ان الوزير صار بهذا التطور همزة الوصل بين ولاة النواحى والخليفة فى حاضرة الدولة فضلا عن أنه صار الرجل الاوحد المنوط به تغطية مطالب الخليفة المالية من نواحى الولايات .

غير ان ذلك التطور لم تظهر سلبياته وانعكاساته الخطيرة بصورة فعاله على مصيرية الخلافة من حيث استمراريتها أو جنوحها الى طريق الزوال والأفول الا فى عهد الخليفة المقتدر الأمر الذى يجسد لنا طبيعة تلك العلاقة بين الوزير أبى الحسن بن الفرات وحكام الأقاليم ، وأثارها على تطور الأحداث التى ألمت بحاضرة الخلافة العباسية .

وواقع الأمر أن أبا الحسن بن الفرات لم يعد بمقدوره الحصول على الأموال الطائلة الى دواوين بيت المال العامة والخاصة بحاضرة الدولة أعمالا لتصريف أبواب المصروفات ـ وبالذات قصر الخلافة ونفقات القواد

والتبذير – الا باتباعه سياسة عامة تقضى بضرورة استقرار الاحوال داخل الولايات ، فنادى بمراسلة حكام الولايات في اول عهده بالوزارة بأمرهم بأن يقوموا بالعمل على نشر العدل بين الرعية ويذكر مسكوية(٥) انه من محاسن ابن الفرات (انه افتتح امره باخراج امر المقتدر بمكاتبة العمال في جميع النواحى باناضة العدل بين الرعية وازالة الرسوم الجائرة .. ثم اخرج امره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته) .

وكان كثيرا ما يحرص في رسائله هذه على أن يقوم كل والى بنشر خبر قيامه بمهام الوزارة وان يقوم بالعمل دون ان يال جهدا في اداء مهامة طالبا منه اطلاعه على شئون ولايته واورد هلال بن الصابىء(٦) نصا كاملا لرسالة كان قد ارسلها ابن الفرات الى عمال النواحى ، ومن بين ماجاء بها ما نصه (وعرفتك ما جرى لتعلمه اجل عملك ، وتزداد اجتهـــادا الى اجتهادك كفاية وغنـــاءا على كفايتك وغنائك ، وترتيب ما يكون منك في ذلك ان شاء الله (٧) .

ويبدو أن الوزراء الذين تولوا الوزارة من بعد أبى الحسن بن الفرات اقتفوا اثره خـــلال فترات انصرافه عنها فساروا على ذلك النهج أو أن مقتضى الحـــال قد الجاهم الى اتخـــاذ سياســـته سبيلا لاستقرار الاحوال المالية(٨) .

وكان أبو الحسن بن الفرات بوصفه وزيرا قائما بالنظر بتعيين الولاة يشرع في اسناد مهام ولاية بعينها الى رجـــال يرى فيهم وســـعا لأداء

---

(٥) تجارب الأمم ، جـ ٥ ص ١٣
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ – ٢٥٧
(٧) كانت هذه الرسالة قد بعث بها بعد توليه الوزارة الأولى في أعقاب ما بذله من جهود لاخماد فتنة عبد الله بن المعتز ، ولعب أبو الحسن في ابلاغ عمال الاطراف دوره في هذه الفتنة ، وتأييده المقتدر (هلال بن الصابىء ، المصدر نفسه ص ٢٥٥)
(٨) Harold Bowens: The life and Times of Ali Ibn Esa p. 125.

الضمانات المالية التى ينبغى أن يؤدونها ، ومن ذلك أنه قلد سنة ٢٩٧هـ يوسف ابن أبى الساج أعمال أرمينية وأذربيجان (٩) ، وعقد له عليها ، وضمنه أياها بمائة ألف وعشرين ألف دينار فى كل عام (محمولة الى بيت مال العامة بالحضرة) (١٠) ٠

وصار بديهيا ان يكون الوزير على دراية باحوال كل ولاية حتى اذا تباطأ احد الولاة فى أداء ما عليه من ضمانات ألزمه باستيفائها فى ضوء علمه باعمال الجباية بداخل ناحيته وحكى هلال بن الصابىء(١١) ، أن أبا الحسن بن الفرات قد ولى أبا على الحسين بن احمد المعروف بأبى زنبور الشام اربع سنين عن أيام توليــــه الوزارة الأولى والثانية ـ ولم يبادر بأداء ما عليه من ضمان فناظره باداء ضمان الخليفة وبيت مال العامة لعلمه بأنه بوسعه تحقيق ذلك من مستغلات تلك الضياع التى كان يملكها وابن اخيه محمد بن على بمصر والشام وكانت تماثل من حيث المساحة (مائة فرسخ فى مائة فرسخ) (١٢) وظل به حتى الزمه ببيان الحجة وترك أمره الى الخليفـــة ، ومما يجدر ذكره ان ابن الفرات لم يترك هؤلاء العمال الأكثر استحواذا على الثروات وشأنهم ، فاشتد فى مطالبتهم باداء ما عليهم من قطيعة وبالذات أيام وزارته الثالثة ، وبلغ من شدته انه عامل بطبيعة الحال عمال مصر بما ينطوى على القسوة لتيقنه بأنهم أكثر الولاة ثراءا ، ومما يذكر انه سعى سنة ٣١١هـ بمحمد بن على المذرائى(١٣) فضـــلا عن استيفاء ما تباطأ فى آدائه أبو على

(٩) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤

(١٠) مسكوية : المصدر نفسه ، ص ١٦

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ١٠٧ و ١٠٨

(١٢) يعادل الفرسخ ثلاثة أميال أو اثنى عشر ألف ذراع ٠

(١٣) ينتسب المأذرائيون الى أسرة فارســية الأصل تنسب الى ما ذرايا أو ما درايا وهى قرية من أعمال البصرة ، وكان لابنائهـا حظ موفور يذكر فى مصر وكان أول ظهورهم بها على وجه الترجيح بقيـــام

الحسين بن أحمد الماذرائى من ضمان اجفاد الشام ومصر وحق بيت مال العامة ، وذلك على الرغم من ان الأول لم يتقـلد فى ذلك الحين ولاية الخراج بهذه الجهات(١٤) ومما يذكر انه ظل بهما حتى أخذ اعتراف هذا الاخير بما عليه من قطيعة ، وقدره ألف ألف وسبعمائة الف دينار بعد ان زاد عليه ثلاثمائة ألف دينار ، على حين قرر على الأول بما يماثل ما قرره على الثانى واخذ اعترافه بذلك (بلا تهديد ولا مكروه) وقيل ان أبا الحسن بن الفرات قد اعمل البطش فى أبى الحسين أبى زنبور حتى أعتقله فى داره واستحضر القضـاة وأصحاب الدواوين اليهـا فى حضور ولده المحسن(١٥) .

ومما يجدر ملاحظته ان الوزير أبا الحسن بن الفرات كان يعنى باحداث الولايات ، فكان يتابع احـداث كل ولاية لمـا لذلك من أهميـة من حيث الوقوف على استقرارها أو اضطراب الأحـوال بها ، ومن ذلك اهتمامه باحداث فارس ومراقبته لحركة سبكرى الذى حاول دخولهـا وتخليصها من يد طاهر بن محمد سنة ٢٩٦ هـ ، ونجاحه فى ذلك بفضل الامدادات العسكرية التى أمده بها الخليفة تحت أمره مؤنس الخادم (١٦)

=
دولة بنى طولون ، وكان لهم مشاركة ايجابية فى مصر مع الولاة وقواد الجيش حيث اسهموا فى ولاية طائفة من الوظائف الرئيسية فيما بين نهاية حكم الطولونيين وقيام دولة الاخشديين (سيدة الكاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص٣٧) .

(١٤) ولى خراج مصر عاما واحـدا فيمـا بين ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، غير انه عاد الى النظر فى خراج مصر فى سنة ٣١٨ ، وتؤكد المصـادر على أنه خرج من مصر الى بغداد فى صحبة مؤنس الخادم بعد أن أزال دولة بنى طولون ، على انه عاد اليها قبيل قدوم الأخير الى مصر لدرء عسـكر حباسـه الفاطمى ، ومما يذكر انه كان بمصر واسـع الثروة والسلطان على الرغم من تركه مهمة النظر فى الخراج فترة زمنية طويلة . (الكندى : الولاة ، صفحة ٢٦٩ ـ المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .)

(١٥) مسكويه : المصدر نفسه ، صفحة ١١٤ و ١١٥ .

(١٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٣٦٥ .

وقيل ان أبا الحسن كان يقف على أحوال سبكرى من خلال رسائل كانت تصل اليه من كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى الذى كان بينه وبين سبكرى أمور أدت الى الوقعية بينهما ، فأكثر من الوشاية به عند ابن الفرات فاقبل سبكرى على حبسه واستبداله بغيره فاضطر عبد الرحمن ازاء فعله من مراسلة ابن الفرات فى محبسه يخبره بمساوىء سبكرى وكاتبه الجديد اسماعيل بن ابراهيم ، مبينا له أنهما لا يرغبان فى آداء ما عليهما من قطعية ، فبعث الوزير جيشا تحت أمرة محمد بن جعفر لمقاتلة سبكرى فى شيراز (١٧) وتم له ما اراد ، حيث انتهى الأمر باستيلائه على فارس ، وولى عليها قبيحا خادم الافشين (١٨) .

وكان أبو الحسن بن الفرات يتابع حركات العصيان التى كثيرا ما يقيمها ولاة الاقاليم فيما بينهم بقصد التوسع ، وكانت مثل هذه الحركات تنتهى بنهاية والى بعينه وضم ما كان تحت يده للوالى الآخر الذى أرغمه على التسليم دونما مراعاة لرأى الخليفة أو الرجوع الى الوزير ومما يذكر أنه أنهى الى المقتدر ما أقدم عليه يوسف بن أبى الساج من صرفه محمد بن على صعلوك من أعمال الرى (١٩) وقزوين (٢٠)

---

(١٧) بكسر أوله : حاضرة كورة من نواحى فارس وذكر ان الذى بناها شيرازين فارس ، ولم تكن حاضرة لكورة الا فى العصر الاسلامى ، حيث صارت مصرا ومقرا للدواوين (المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩) .

(١٨) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(١٩) بفتح الراء وياء مشددة ، تقع فيما بين الاقليمين الرابع والخامس ، ويحسبها الجغرافيون ضمن بلاد الديلم ، وخرب أكثرها سنة ٦١٧ هـ من جراء الغزو التترى (المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٣ ـ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٣٠) .

(٢٠) بفتح أوله وسكون ثانيه ، وكسر ثالثه ، وياء مثناه ، من مدن الأقليم الرابع وتبعد عن الرى بسبعة وعشرين فرسخا وعن أبهر باثنى عشر فرسخا (ياقوت الحموى : المصدر نفسه ج ٧ ، ص ٧٩) .

وأبهر (٢١) زاعما أن على بن عيسى قد قلده قبل عزله سنة ٣٠٤ هـ بأمر المقتدر أعمال الحرب بهذه النواحى (٢٢) ومما يذكر أن أبا صعلوك قد وجد فى عزله فرصة لأن يمتنع عن أداء الضمان المالى المفروض عليه رغم كثرة ما استحوذ عليه من ثروات من مستغلات خراج ضياع النواحى ، فضلا عن خروج ابن أبى الساج نفسه على طاعة الخليفة ورغبته فى الحد من قدر الوزير بسلب احدى خصوصياته فيما هو مسند اليه بأمر الخليفة من قيامه بتكليف من يختاره للقيام بمهام الولاية ، وقيل أن ابن الفرات قد أخرج على بن عيسى من محبسه وناظره فى أمر تقليده بولاية أعمال الحرب بهذه النواحى لابن أبى الساج ، فأنكر منهما اياه بالكذب والخداع ، فلم ير ابن الفرات بدا من الايعاز به عند الخليفة بضرورة ارسال جيش لوقف تمرد هذا الوالى ، ولما نجح فيما ذهب اليه طالبه بالحضور الى بغداد شاخصا للمثول بين يدى لاخليفة (٢٣) .

وكان أبو الحسن بن الفرات يراعى عند اختياره العناصر التى يختارها فى الامارة على النواحى شروطا ، وهناك تقليد فى ٢٩٦ هـ الى أبى العباس أحمد بن بسطام يعلن فيه قيامه بولاية مصر لعلمه بكفايته ودرايته جاء فيه (قلدتك الخراج والضياع العامة والمستحدثة بمصر ونواحيها والكور ـ لما أعرفه من كفايتك ، ومخالصتك ، وأثق به من مناصحتك ، وكتبت به الى الحسين بن الحمد بتسليم هذه الأعمال

---

(٢١) بفتح أوله وتشديد ثانيه ، من بين بلاد الديلم بالاقليم الرابع ويحسبها الجغرافيون من أمهات البلاد وأعلام المدن وترجع أهميتها الى وقوعها على طريق الحاج فضلا عن ثرائها ووفرة خيراتها من الفاكهة ، وتقع على مسافة مائة وسبعين فرسخا من نيسابور وسبعة وعشرين فرسخا من قزوين (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٢٢) مسكويه : المصدر نفسه ج ٥ صفحة ٤٥ وما بعدها .

(٢٣) مسكويه : المصدر نفسه صفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

اليك واعلمته اعتمادى فيها عليك وأن بضاعتك وكفايتك تستغنى عن التنبيه وذوفى على الظن بك ...) (٢٤) .

غير أن أبا الحسن بن الفرات كثيرا ما كان يلجأ الى عدم الأخذ بهذه الشروط حينما تدعوه الحاجة الى ذلك ، وكثيرا ما كان يقبل على تعيين الولاة الذين يؤدون اليه بعض الخدمات ، وفى تلك الحال لا يرى ضرورة لأن يكون هؤلاء على قدر من الكفاية والدراية فى الادارة ، وذلك جريا وراء سياسة تيسر له سبيل سيطرته ، ومن ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ أنه أسند ولاية مصر فى وزارته الأولى الى تكين التركى مستعينا به للتغلب على سوسن الحاجب (٢٥) .

كما أنه فى اطار رغبته فى البقاء على مرتبة الوزارة أبعد فى وزارته الثالثة الحسن بن محمد الكرخى عن بغداد وولاه الموصل وأعمالها لما له من صلات بخصومه ــ وبالذات على بن عيسى وحامد بن العباس (٢٦) .

وصفوة القول أن أبا الحسن بن الفرات بوصفه وزيرا قد أحكم قبضته على نواحى الولايات وأقام عليها بأمر الخليفة المقتدر ولاه أخلصوا له ، وخضعوا لطاعته ، غير انه كان شديد الحرص فى متابعة أعمالهم حتى اذا تأخر البعض منهم فى الاستيفاء بضماناتهم ألزمهم بأدائها تغطية لمطالب بيت مال العامة وحاجة الخليفة .

---

(٢٤) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .
(٢٥) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ١٢ .
شرع سوسن الحاجب للايقاع به ، ومهد الطريق لمحمد بن عبدون لتولى الوزارة ، فاقبل ابن الفرات مدفوعا بما حققه من نجاح فى اخماد فتنة ابن المعتز على الخليفة موضحا له ان سوسن الحاجب من خصومه ويبغى الوثوب عليه والاطاحة به (هلال بن الصابىء ، المصدر نفسه ، ص ١٠١ ، ١٠٢) .
(٢٦) هلال بن الصابىء ، المصدر نفسه ، صفحة ٩٣ ــ ٩٤ .

ثالثا : الوزير أبو الحسن بن الفرات والعلاقات الخارجية :

كان طبيعيا أن يكون للوزارة دور فى مجال العلاقات الخارجية لما لها من اختصاصات كان من شأنها أن يسهم القائمون عليها فى هذا المجال بوصفهم ممثلين لأحد أجنحة النظام السياسى فى الدولة .

صار الوزير مسئولا فيما يقوم به من مهام من شأنها أن تؤدى دورا فعالا فى ترتيب هذه العلاقات وتنظيمها ، اذ كان ينهض باتخاذ التدابير اللازمة التى تكفل للدولة هيمنتها وبالتالى افساح المجال لتعزيز مكانتها تجاه الطامعين والخارجين عليها ، فكان بوصفه مباشرا لاستقصاء الموارد المالية من رواتب القادة والجند فضلا عن التعبئة المالية فى صور تمهيدية لنجاح العمليات العسكرية ، سبيلا لأن يكون ـ ارتباطه بديهيا بأخبار الغزو نجاحا أو اخفاقا ، كما كان بحكم اختصاصاته يحدث بتدخلاته انعكاسات قد تؤدى الى تحريك الجيش لاحراز النصر ، كما أنه بطبيعة الحال ـ يصير له نفس القدر فى حالات السلم ـ اذا ما قضت الضرورة وجوب هدنة بين الدولة والخارجين عليها .

والمعروف أن عوامل الضعف التى ألمت بجسم الدولة العباسية فى عهد نفوذ الأتراك قد أتاح لأعدائها سبيلا لنشر الأطماع والتغلغل ، وكانت أكثرها خطورة من جانب البيزنطيين والقرامطة ، ومن ثم كانت علاقات الخلافة العباسية فى تلك الفترة بهذين الجانبين يسودها التوتر والاضطراب ، وكان عهد الخليفة المقتدر يشكل علامة بارزة تنهض بعدائية هذه الصلات .

ومن الثابت أن الدولة العباسية فى عهد الخليفة المقتدر فقدت كثيرا من جوانب القوة بفقدانها جهود الولايات ـ وبالذات الطولونيين ـ الذين حملوا عبء الحرب مع الروم وسدوا عن الدولة بابا ثقيلا بالتكاليف ،

فى وقت عانت كثيرا من استشراء عـوامل الضعف ومطامـع الـولاة واستقلالهم .

وكان ضروريا أن يقبل القائمون اذ ذاك على الدولة باتخاذ سياسة تقوم على انقاذ الدولة من عوامل الانكسار وبراثن الضعف ، وذلك بجهود حربية وسياسية وأخرى دبلوماسية .

والمعروف أن أبا الحسن بن الفرات كان خبيرا بالجيوش والعروض ومعرفة الرجالة منفذا لأمر الخليفة منذ قيامه بالاشراف على ديوان الجيش فى عهـد المقتدر قبل تقليده الوزارة (١) ، ولما تقلد الوزارة أعانته تلك التجربة فى اختيار العناصر من ذوى الكفاءة فى ادارة هـذا الديوان مما يسر لـه مهمة استقصاء رواتب الجند ومطالب القيادة التى كان للأتراك قدر كبير منهـا .

ومما يجـدر ذكره أن الدولة البيزنطية قد شهدت فى تلك الأحايين بداية عصرها الذهبى بانتقال عرشها الى الأسرة المقدونية (٢) غـير أن ذلك العهد فى بيزنطة بدأ بمحاولات مؤقتة حـول ادارة أمـور الدولة تقريبا لأسس الدبلوماسية البيزنطية تجاه أعدائها وجيرانها ، ولم ير الجيش العباسى خلال تلك الفترة صعوبة فى شن غارات قصيرة الأجل على حصـون البيزنطيين بفعل ذلك الانشغال الذى ساد بيزنطة فى أول عهد المقدونيين .

ونذكر جانبا من انتصارات الجيش العباسى فى عهد الخليفة المقتدر ووزيره أبى الحسن بن الفرات ومنها على سبيل المثال جهود القـائد القاسم بن سيما فى الاغارة على أطراف بلاد الروم وعودته بالاسارى الى

---

(١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، صفحة ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) ج . م . هسى : العالم البيزنطى ، صفحة ١٤٥ ترجمـة وتعليق رأفت عبد الحميد . القاهرة ١٩٨٢ .

بغداد سنة ٢٩٧ (٣) وغارات أمراء الصوائف على حصون بلاد الروم سنة ٣٠٤ (٤) ، ٣٠٦ هـ (٥) .

على أن تلك الفترة كان من شانها أن تجعل علاقة العباسيين بالروم تأخذ طريق الشد والجذب ، ذلك أن أحوال الجانبين كانت سبيلا الى ذلك ، فالبيزنطيون على نحو ما أشرنا انصرفوا فى بداية عهد الأسرة المقدونية للتمهيد لعصر الظهور والقوة ، على حين انشغل العباسيون من جانبهم بمشاكل أخرى داخلية وقت اهتزاز الخلافة الأمر الذى جعل هناك تباينا فى الصلات بين الجانبين ، فتارة يلجأون الى المهادنة والموادعة والأخرى يشتد بينهما النزاع ، على ان الأولى قد لقيت قبولا وارتياحا لدى الخليفة المقتدر لما لها من ضرورة تسهم فى التفرغ لقمع عناصر التمرد من الولاة واحتواء المشاكل الداخلية بحاضرة الخلافة ، ومن ثم غدت تجربة الاتصال الدبلوماسى أمرا ضروريا فى تهدئة المواقف مع الروم ، ولقد لعب أبو الحسن بن الفرات دورا أساسيا فى هذه العلاقة .

شهد أبو الحسن بن الفرات تجربة الاتصال الدبلوماسى مع بيزنطة وشارك فى اثرائها وأسهم فى تطورها الأمر الذى أوقف المصادمات الحربية بينهما ولكن الى حين .

وهناك سفارة بعث بها امبراطور الروم سنة ٣٠٥ هـ الى المقتدر (محملة بهدايا عظيمة والطاف كثيرة) (٦) بقصد التماس الهدنة وتبادل الأسرى (٧) وعلى الرغم مما عرف به المقتدر من الضعف ، فقد

---

(٣) ابن كثير : المصدر نفسه جـ ١١ ، ص ١١٢ .
(٤) أبو المحاسن : المصدر نفسه جـ ٣ ، ١٩٠ .
(٥) ابن كثير : المصدر نفسه جـ ١١ ، ص ١٢٨ .
(٦) أبو المحاصن : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ .
(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٠٠ .

عنى بأن تظهر الدولة فى مثل هـذه المناسبات بمظهر القوة ترهيبا لرسل الروم القادمين ، ومما لا شـك فيه أن امبراطور الروم كان يستهدف فيما ينشـده من مقاصد من وراء هـذه السفارة الوقوف على أحوال الدولة العباسية من حيث القوة والضعف (٨) ٠

ويهمنا من أمر تلك السفارة ذلك الدور الذى قام به أبو الحسن ابن الفرات بوصفه صاحب المرتبة السياسية بعد الخليفة فى اعـداد العدة وتهيأة المنـاخ اللازم لاستقبال مبعوثى امبراطور الروم بحيث يحدث ترهيبا فى نفوسهم تعويضا لتلك الأصـداء التى تعاظمت بفعل عوامل التصـدع التى ألمت ببغداد ، وجرت العادة فى مثل هـذه المناسبات أن يبدأ المبعوثون بلقاء الوزير ثم بلقاء الخليفة ٠

وأول ما يقابلنا من جهود أبى الحسن بن الفرات فى شـأن استقباله لهذه السفارة اشاراته بأن تصتف عناصر الجيش عبر طريق طويل يبدأ بدار صاعد وينتهى بداره التى أقطعها لنفسـه بموضع يعرف « بالمخوم »، وحرصه على ترتيب غلمانه وجنده والحجاب المرسومين بداره بأول مدخل باب داره الى موضع مجلسه ، وأولى اهتمامه بتزيين داره المعروفـة « بدار البستان » حيث بسطت السقوف بالفرش وعلقت الستور فى منظر بديع بلغت من الكلفة ثلاثين ألف دينار ، وجلس هـو على (مصلى) عظيم المنظر والخـدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله ويتقدمه صحن يشغله القواد والأولياء ، حتى اذا جاء الرسولان من قبل امبراطور الروم شـاهدا فى الطريق المؤدى الى داره ذلك الترتيب من العسـكر وكثرة الجمع ما هالهمـا (٩) ٠

---

(٨) مسكويه : المصـدر نفسـه جـ ٥ ص ٥٣ ٠
(٩) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ٠
أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٦٩ ٠

أجتاز الرسولان بصحبة أبى عمر بن عبد الباقى (مترجما) هذا الممر المنيع الى أن قابلا أبا الحسن بن الفرات ، وعرضا عليه الفداء والتمسا منه بالسعى بهما لدى الخليفة بذلك ، فاصتحبهما مارا بنفس الطريق الذى أعده ، فازداد الرسولان رعبا من هول ترتيب العسكر بأحسن زى وأكمل هيأة ، وانتهى الأمر بهم الى عبور الطريق المعد الى دار السلطان .

وكان ابن الفرات قد أعد للطريق بين الدارين بمثل ما أعده للطريق المؤدى الى داره ترهيبا للرسولين .

ومما يجدر ملاحظته ان أبا الحسن بن الفرات أيقن أهمية مباشرته لما اتخذ من اجراءات بدار السلطان قبل دخوله على الخليفة وطلب اذنه فى دخول الرسولين للمثول بين يديه .

وتتحلى لنا رغبة المقتدر فى الظهور بمظهر القوة انه أنشأ دارا لاستقبال الرسولين عرفت بدار الشجرة ، وكان أبو الحسن بن الفرات قد عنى بكثرة اطلاقاته لبيت مال الخاصة تغطية للصرف عليها مما يسر سبيل تأثيثها بحيث صارت علامة بارزة فيما أوحت على منعة الخلافة وعظمتها (١٠) .

وعلى كل حال أذن المقتدر لابن الفرات بدخول مبعوثى الروم ، وأقبلا عند دخولهما عليه بتقبيل الأرض بين يديه ، وأعلن الحاجب مطلبهما ، فاسند الخليفة لابن الفرات أن يجيبهما امعانا فى اظهار العظمة ـ

---

(١٠) الخطيب البغدادى . المصدر نفسه صفحة ١٠٠ . وصفها الخطيب البغدادى بقوله (ففرشت الدار بالفروش الجميلة ، وزينت بالالات الجليلة ورتب الحجاب ، وخلفاؤهم والحواشى على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ، ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة (الخطيب البغدادى المصدر نفسه صفحة ١٠٠) .

فاجابهما بالموافقة على الفداء مقابل تبادل الاسرى رحمة للمسلمين وايثارا لطاعة الله عز وجل ، وأعلن ابن الفرات بان الخليفة اسند تلك المهمة لمؤنس الخادم استحضارا للفداء .

يتضح لنا مما تقدم ان أبا الحسن بن الفرات بوصفه وزيرا أدى جانبا هاما فى علاقة الدولة العباسية بالروم حينما تشتد حالات الصراع بين الجانبين أو تميل الى الموادعة والمهادنة .

ومن الاخطار الخارجية التى هددت الدولة العباسية الحركات الشيعية التى اشتدت ضراوتها فى عهد المقتدر من اسماعيلية وقرامطة وفاطمية ، وباتت هذه المخاطر سبيلا لان تفقد سلطان الخلافة أهميته وهيبته ، فاخذ فيما آل اليه من افول طريقه الى زوال (١١) .

ويهمنا من أمر تلك الحركات القرامطة (١٢) الذين نشروا مطامعهم فى أراضى الدولة العباسية فى عهد المقتدر ووزيره أبى الحسن ابن الفرات بصورة لم يسبق لها مثيل .

وتشير المصادر الى ان النزاع بين كبار رجال الدولة فى عهد المقتدر للوصول الى مرتبة الوزارة أوجد حالة من الفوضى والاضطراب

---

(١١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، صفحة ٢٥٨ ، انظر .
انتهى هذا التطور بظهور أمير الأمراء فى عهد الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) حيث اسندت اليه مسئولية سلطات الخليفة وانصرف الى تدبير الأمور دون الرجوع اليه فى شىء (السيوطى : المصدر السابق والصفحة) .

(١٢) أظهروا مطامعهم فى عهد المعتضد بالكوفة على يد حمد بن قرمط وفى البحرين على يد أبى سعيد الجنابى ، غير أن المعتضد بذل جهودا فى وقف تمردهم فى البصرة والبحرين سنة ٢٨٧ ولما استطال شرهم فى عهد المكتفى نكل بهم واوقف تغلغلهم بالشام سنة ٢٩٠ ، ٢٩١ هـ (ابن الأثير ج ٦ حوادث السنين المشار اليها - ابن كثير المصدر نفسه ج ١١ ص ٨٣ ، ٩٦ ، ٩٧) .

فى بغداد فى وقت كان القرامطة يزحفون على البصرة ، ونرى فى تلك الظاهرة دافعا لتلك الانطلاقة القرمطية التى استهدفت غزو مساحات كبيرة من أراضى الدولة العباسية ، كما انه اذا نظرنا الى ما أسلفناه - بعين فاحصة متأنية ، ورؤية مدققة رأينا فى ذلك الصراع عاملا رئيسيا احدث تفجيرا لهذا التنافس الذى نشب بين كبار رجال الدولة فى تلك الفترة الزمنية ، بدليل أنه حدث اذ ذاك تنافس بين على بن عيسى وابى الحسن بن الفرات كان من شأنه أن يقبل الأول على استمالة القرامطة والتقرب اليهم وامدادهم بالسلاح والهدايا اعمالا ورغبة فى ان يخفق ابن الفرات فى درء اخطارهم مما مهد لهم سبيل دخول البصرة فى سنة ٣١١ بجيش كثيف تحت امرة ابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى ، وأسهب المؤرخون (١٣) بتفصيلات تدور حول ما أعمله القرامطة فى أهل البصرة من تقتيل وتشريد ، وما اغتنموه من مغانم كثيرة حتى باتت أرض البصرة أرضا مستباحة خلال سبعة عشر يوما .

وكان ابو الحسن على بن الفرات قد تأخر بعض الوقت فى تصريف الجيوش لمباغتة التيار القرمطى ، ولما أعد عدته بارسال جيش الى البصرة تحت امرة محمد بن الفارقى بعدة من الطيارات (١٤) والشدادات (١٥) كان القرمطى قد غادر البصرة قبل وصوله اليها .

على أن أبا الحسن بن الفرات لم يترك على بن عيسى وشأنه لعلمه بمراسلة القرامطة ومساعدته اياهم ، فناظره فى شأن الهدايا والسلاح التى ارسلها اليهم وما كان بينهما من مكاتبات ، غير أنه اعترف بما

---

(١٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ٥ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٧ وما بعدها - ابن كثير البداية جـ ١١ ، ص ١٣٧ - وابن خلدون : العبر جـ ٣ ، ص ٣٧٧ .
(١٤) نوع من السفن السريعة .
(١٥) جمع شداه وهى سفينة معدة لنقل الحيوانات .

أقدم عليه زاعما أنه لم يقبل على ذلك الا رغبة منه فى استمالتهم حتى يكفوا عن الحاج وأعمال البصرة والكوفة (١٦) .

وأورد مسكويه (١٧) رد ابن الفرات على مزاعم على بن عيسى ما نصه (فأى شىء أعظم من أن تشهد ان أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واستباحوا عمان وقتلوا أهلها ، وسبوهم ـ مسلمون ـ وتكاتبهم بذلك ، وتؤخر أرزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أخلوا مراكزهم ، فدخلها القرمطى وقتل أهلها ...) .

ولم يكن عداء أبى الحسن بن الفرات مقصورا على كبار الرجال كعلى بن عيسى ، بل امتد عداؤه الى القادة الاتراك رغبة فى ابعادهم فى وقت كان التغلغل القرمطى بسبيله الى دخول البصرة وأوجدت تلك الخصومة توترا بين عناصر الجيش ، فضلا عن حنق الخليفة وأهله ، ومما قيل أن ذلك الشقاق قد ألجأ ابن الفرات الى ابعاد مؤنس الخادم الى الشام (١٨) مما كان ذريعة لنصر الحاجب الذى حنق على ابن الفرات ، فسعى به الى الخليفة مشيرا عليه بأن ما استولى عليه

---

(١٦) مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

(١٧) المصدر نفسه والصفحة .

لم يكف أبو طاهر بن أبى سعيد الجنابى عن فكرة غزو أطراف البلاد فى عهد المقتدر ونشر أطماعه بها ، ففى العام التالى سنة ٣١٢ هـ اعترض طريق الحاج ، وأعمل فيهم السيف واستولى على أموالهم ، وأسر نساءهم ، ولم تفلح جهود « أبو الهيجاء بن عبد الله ـ نائب الكوفة فوقع فى أسره . ولم ير الخليفة بدا ازاء ما أقبل عليه القرامطة من اسناد مهمة الخروج اليهم الى مؤنس الخادم بعد عودته الى بغداد فى أعقاب عزل أبى الحسن بن الفرات ، ونجح مؤنس فى وقف تمردهم بالكوفة . (ابن كثير : المصدر نفسه ، ج ١١ ص ١٥٠) .

(١٨) ابن كثير : المصدر نفسه ج ١١ ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

القرامطة انمـا كان بسبب ابعاد ابن الفرات لـمؤنس الخـادم المظفر فطمعوا فى الأطراف ٠

وتنهض اشارات المصـادر بالدلالة على أن تلك المحنة كانت دافعا بالخليفة لعزل ابن الفرات والتنكيل به والخلاص منه ومن ولده المحسن ٠

وصفوة القول أن أبا الحسن بن الفرات لم يعد فى مقدوره فى وزارته الثالثة أن ينجح فى احتواء الخطر القرمطى الـذى ألم بأطراف الدولة ازاء ما واجهه من عقبات ، وكان أكثرها خطورة محاولات منافسيه من رجال الدولة والأتراك للاطاحة به ٠

مكانته الاجتماعية وآثارهـا :

كان حرص الوزراء فى عهد نفوذ الأتراك على تغطية نفقات الخليفة العباسى ورجال دولته والقواد فضلا عن سعيهم الى تكوين الثروات سبيلا لأن يظهر فى مجتمع بغداد شريحتان متميزتان كل التمايز ، أولاهمـا تضم عناصر يمثلون الصفوة من الخليفة ورجال دولته وأهليهم وأتباعهم ، وثانيهما يمثلها بقية عناصر المجتمع من علماء وتجار وصناع ومزارعين ، وتشـكل ـ بطبيعة الحـال ـ الأكثريـة من مجمـوع سـكان حاضرة الخلافة (١) ، وكانت أحوال الخلافة الغير القابضة فى عهد المقتدر من شـأنها أن تجعل هـذه الأخيرة مستضعفة باستثناء من اتصـل منهـا بالخليفة والأمراء ، فى حين كانت الأولى تستحوذ على مصادر الايرادات التى تدخل بيوت المـال ، حيث كان الخليفة ومن اليه ينفق جزءا منها على مصالح الـدولة ، وما بقى وهـو كبير يصرف فى رغباته والأمـراء والقواد من هبات للشـعراء والمداح وكان القليل منهم يجـزل العطاء للفقراء .

وكان كبار رجال الدولة فى عهد المقتدر يتنافسون بمظاهر البذخ ورغـد العيش أمعانا فى اظهار سلطانهم وكان الرجال ممن يتصلون بهم ينعمون بحياتهم ـ على الأخص ـ الشعراء والعلماء . ومما هـو جدير بالملاحظة أن هـذه المنافسة كانت سبيلا لأن يقبل رجال الدولة فيمـا ذهبوا اليـه لاظهار نفوذهم على أن ينعم الآخرون من المقربين اليهم بحيـاة مطمئنة هادئة فى تلك المنـاسبات التى يقيمونها لأنفسهم من احتفالات ومجالس اجتماعية بقصد الارتقاء بحياتهم الخاصـة .

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ، ص ١٤٤ ، ١١٥ .

وكان أبو الحسن على بن الفرات بوصفه وزيرا يحتل مكانة سياسية مرموقة وكان لتلك المكانة بطبيعة الحال ـ آثارها على حياته الخاصة بحيث صار من الطبيعى أن يعنى بقدر من التمايز والخصوصية بين أفراد المجتمع بحاضرة الخلافة ، وكان يسعى بالضرورة الى تأكيد سلطانه بمظاهر شتى شأنه فى ذلك شأن غيره من الوزراء والقواد ٠

ومما لا شك فيه ان أبا الحسن بن الفرات يشكل بحياته الخاصة احدى مظاهر الحياة الاجتماعية التى تتسم بالتمايز والرقى فيما آلت اليه حياة الخاصة من الصفوة فى ذلك الحين ، كما أنها تأتى تجسيدا لذلك التطور الذى طرأ على الحياة الاجتماعية فى بغداد فى عهد الخليفة المقتدر فيظهر لنا ـ مما استقيناه من مظاهر حياته أنه لم يعد هناك خليفة يخضع الجميع لسلطانه وهيمنته ، كما لم يعد هناك رجال دولة مكلفون بالسعى نحو تثبيت سلطان الخليفة ، ومن ثم صار القواد والوزراء يحيون حياة الخلفاء ، ويستطيبون حياتهم بنفس القدر الذى يماثل ما اتخذونه من مظاهر ، ومن ثم صاروا موفورى الثراء الذى سعوا من أجله مهما كلفهم ذلك من سبيل ٠

وتتناول فى الصفحات التاليات ما أقبل عليه أبو الحسن على بن الفرات من ألوان ومناحى تقلبت بين البذخ والثراء وحب الظهور فيما أقامه من احتفالات ومجالس وضيافة وما استأثر به من أتباع وأهل وولد ٠

ودأب أبو الحسن بن الفرات على استطابة حياته فى شىء من الثراء قبل ان يتقلد الوزارة فى عهد المقتدر ، ومما أفسح له طريق هذا المجال تلك المكانة التى تبوأها وقت أن لازم أخاه العباس وحكى « هلال بن الصابىء » (٢) انه كان يمتلك اذ ذاك ضياعا بنواحى الولايات ، وكان مما قيل انه استخرج وأخوه من مستغلات نواحى واسط فضلا عما استضافه

---

(٢) المصدر نفسه ، صفحة ١٥٦ ٠

من ضياع السلطان فى كل عام نحو عشرين الف دينار ، ومما لا شك فيه أنه أفاد من ذلك بتقلده الوزارة الأولى مما ظهر صداه واضحا فى الثانية والثالثة .

وكان لصلاته المتينة بالمقتدر أكبر الأثر على تعاظم أمواله ، حتى بلغ راتبه الشهرى فى وزارته الأولى خمسة آلاف دينار (٣) ، فى حين بلغ ما أجراه الخليفة على أولاده الثلاثة المحسن والحسين والفضل فى كل شهر ألفا وخمسمائة دينار (٤) واتسعت ثرواته فى وزارته الثالثة حتى جمع فى حوزته من الأموال عشرة آلاف الف دينار (٥) فضلا عن تلك الأموال التى استخرجها من مستغلات ضياعه فى كل عام بما يماثل الف الف دينار (٦) وتشير المصادر (٧) الى أنه لم يكن هناك من الوزراء ما بلغ قدرا من حيث السعة والثروة مبلغا بمثل ما حصل عليه ابن الفرات من العين (٨) والورق (٩) والضياع والأثاث .

وتظهر الأموال الطائلة التى كان قد الزم بأدائها عند مصادرته فى الفترات التى عزل فيها على مبلغ ثرائه ، وكان فيما صودر عليه من أموال بعد عزله من وزارته الثالثة يؤكد ما استحوذ عليه من أموال وفيرة ، فقد استخرج منه اذ ذاك ألف ألف دينار (١٠) ويظهر من مجلس المناظرة الذى انعقد عند عزله أنه كان يستأثر بحق بيت المال المقرر على ضياعه ، وأنه اضطر الى السعى بالقهرمانة طالبا الشفاعة والمرافعة

---

(٣) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ٢٩ .
(٤) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، صفحة ٢٩ .
(٥) ابن كثير : المصدر نفسه ج ١١ ، ص ١٥١ .
(٦) ابن خلكان : المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٤٢٢ .
(٧) عريب بن سعيد : صلة التاريخ الطبرى : صفحة ٢٦ .
(٨) يعنى به الذهب المضروب أو الدينار .
(٩) يعنى به الفضة (محمد جمال الدين سرور : المصدر نفسه صفحة ٣٩) .
(١٠) مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

ازاء عجزه فى الادلاء بحجة فيما يقضى ببيـان الأسباب التى دفعت به الى الاستئثار بهذه الوفرة (١١) ومما يجدر ذكره ان أمواله التى صودر عليها كانت تؤول الى بيت مال الخاصة (١٢) ٠

ولم تكن مظاهر الثراء فيما تجلت مقصـورة على أبى الحسن بن الفرات ، بل اختص بها أيضا - أسبابه من الرجال والحاشية ، وخضعت امـوالهم - أيضـا بعزلـه للمصـادرة ، وكانت تؤول الى بيت مـال العامة (١٣) وقيل ان أبا العباس الخصيبى قد صـادر زوجـة ولـده المحسن حتى استخلص منها سنة ٣١٣ سبعمائة الف دينار (١٤) ٠

وتتجلى مظاهر الثراء عند أبى الحسن بن الفرات - فيما كانت تحويه داره من شواهد ، فقد بلغت من حيث المساحة مائة ألف وثلاثة وسبعين الفا وستة وأربعين ذراعا ، وجعل بداخلها الأبنية التى زودت بالوان من البذخ والترف فضـلا عن ذلك البنـاء الذى كان يتقدم داره لحبس الميـاه وحمايتها من السيول (١٥) وكان ينفق على داره فيمـا تحصل عليه من الأبواب - من الاقطاعات التى كانت تعل فى كل عام مالا قدره خمسون الف دينـار ، الأمر الذى جعل من داره مدينة بذاتها ، ومما يجـدر ذكره انه كان بها مطبخان ، مطبخ الخاصـة الذى كان يستعمل فيـه كل يوم لحوم الحيوان (١٦) ٠ ومطبخ العامة الذى يختص بما يقدم الى الحجاب المقيمين بالدار ويفرق منه لاصاغر الكتاب وغلمان أصحاب الدواوين وغيرهم (١٧) ٠

---

(١١) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٦٦ ، ٦٧ ٠
(١٢) مسكويه : المصـدر نفسه ج ٥ ، ص ١٢٩ ٠
(١٣) مسكويه : المصدر نفسه والصفحة - ابن خلدون : المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٣٧٢ ٠
(١٤) ابن الأثير الكامل ج ٦ حوادث ٣١١ ٠
(١٥) هلال بن الصابىء : المصـدر نفسـه ص ٢٩ ٠
(١٦) مسكويه : المصدر نفسـه ج ٥ - ص ١٢٠ ٠
(١٧) محمد جمال الدين سرور : المصدر نفسه صفحة ١٨٣ ٠

وخصص ابو الحسن بن الفرات للاشراف على أمور الضيافة فى داره موظفا خاصا يسمى « قهرمان الدار » للاشراف على المأكول والمشروب ، وشئون الموائد التى كثيرا ما تنعقد فى داره باشارة من الخليفة فى تلك المناسبات التى يتخلص فيها من غرمائة ، وجرت العادة فى مثل هذه الاحايين ان يبعث المقتدر بصنوف المأكول والثلوج ، وفى احداها يذكر هلال ابن الصابى(١٨) (لما طهر المقتدر بالله بعض ولده - يقصد ولد جعفر محمد بن القاسم الكرخى - فى سنة خمس وثلثمائة انفذ الى الوزير ابى الحسن بن الفرات ثلاث موائد استدارة المائدة الكبيرة فيها خمسون شبرا يحملها حمالون ..) كما انفذ اليه ضمن ما حمل ثلاثة ابواب وأبنية من ذهب تحمل دنانير ، ولوز وجوز وفستق وبندق ما قيمته خمسة آلاف دينار(١٩) .

ومما يذكر ان أبا الحسن بن الفرات كان يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم الى حجرة الشراب بداره(٢٠) وقيل أنه سقى فى يوم توليه الوزارة الثانية اربعين الف رطل(٢١) .

وخصص ابن الفرات لغلمانه دار خاصة يحملون اليها الاشربة والفقاع والجلاب(٢٢) ويبدو أنه كان يسعى من وراء ذلك الى ان يستطيبون حياتهم الخاصة دونما مشاركة منهم لمن استضافهم حول الموائد والأشربة .

وكان ابن الفرات يظهر فى احتفالاته على الموائد بصورة خاصة تميزه عن غيره من الحاضرين حتى قيل انه لا يأكل الا بملاعق البلور ،

---

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٧٤ و ٧٥ ، أنظر .
(١٩) هلال ابن الصابىء : المصدر نفسه والصفحات .
(٢٠) ابن خلكان : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٢٢
(٢١) ابن خلكان : المصدر نفسه والصفحة .
(٢٢) ابن خلكان : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ٤٢٢

وكان يأكل بالملعقة الا لقمة واحدة ، وخصص له قهرمان داره أكثر من ثلاثين مسنة على المائدة(٢٣) ٠

كما أنه خصص للموائد مقادير وفيره من الثلوج والشموع والقراطيس والاشربة فى شىء من الاسراف والمباهاه ما لم يقبل عليه غيره ، ووصف مسكويه ، دأبة على ذلك قائلا أنه أقدم على (ما لم يستعمله أحد قبله ولا بعده) (٢٤) ٠ مما كان له أسوأ الأثر على أسعار هذه الصنوف ٠

ومما نستخلصه من اشارات مسكويه ان اسراف أبى الحســن بن الفرات عن غيره من الوزراء قد احدثت تباينا فى أسعار الشموع والثلوج والقراطيس بدليل أنها تباينت زيادة أو نقصانا بتوليه الوزارة وصرفه عنها بمعنى أنه اذا قام فى الوزارة ارتفعت أسعارها لكثرة طلبه عليهــا وسرعان ما تنقص بعزله منها(٢٥) ٠

وكان أبو الحســن بن الفـرات كثيرا ما يشـــارك الناس مجالسهم الاجتماعية اذا ما أقيم حفل خاص أو ارادوا اكرام ضيف ، ويروى أنه حضر وجماعة من كتابه حفلا للشراب فى دار سليمان بن وهب ، كما حضر هذا الحفل من المغنيات بين يدى الستار ومن ورائها مالا يحصى كثره(٢٦)

وكان انتشار الغناء فى عهد نفوذ الاتراك يرجع الى كثرة الجوارى وكان معظم القيان اللائى يحترفن الغناء فى بغداد فى أوائل القرن الرابع الهجـــرى من الجوارى ، وقليل منهم من الحرائر وشـاع الاهتمــام بالغناء فى بيوت الأغنياء حيث جعلوا لأنفسهم أماكن واسعة توضع فيها الارائك فيجلسون عليها ليلا لسماع الغناء(٢٧) ٠

---

(٢٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام : ص ١٠٤
(٢٤) مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٢٥
(٢٥) مسكويه : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٢٠
(٢٦) محمد جمال الدين سرور : المصدر نفسه ، ص ١٩٦
(٢٧) محمد جمال الدين سرور : المصدر نفسه ص ١٩٥ و ١٩٦

كما كان أبو الحسن بن الفرات يشارك الناس احتفالاتهم بالأعياد فكان يحرص على أخراج النفقة على ما جرت به العادة فى تلك المناسبات(٢٨) ، ونذكر على سبيل المثال أنه وهب لأهل الخاصة فى يوم النيروز الهدايا ، ومما قيل انه لما حضر يوم النوروز أيام وزارته الثالثة اهدى مؤنس المظفر عند موناته من المغرب وغيره من الخدم والغلمان هدايا عظيمة(٢٩) ، مما ينهض دليلا على دأبه وحرصه فى استمالة القواد فى مثل هذه المناسبات ٠

وعنى أبو الحسن بن الفرات بالنفقة على الاصلاحات أظهارا لسلطانه وجهوده وأداءا لفعل الخيرات بوصفه مباشرا وقائما على ايرادات الدولة ومصروفاتها ، ومن ذلك انه اتخذ فى وزارته الثالثة بيمارستانا فى درب الفضل وكان ينفق عليه من ماله فى كل شهر مائتى دينار(٣٠) ٠

وكان لاهتمامات أبى الحسن بن الفرات العلمية والثقافية أثر لا يغفل فى نشر الحركة الثقافية ، ومما دعاه الى ذلك أنه كان واسع الاطلاع ، راغبا فى اقتناء الكتب ، حريصا على المامه بما تحويه القصص والروايات التاريخية ــ وبالذات ــ التى تحكى أحداث الفتوحات والغزوات ومراحل نشر الدعوة الاسلامية ، ومما قيل ان السعاة وناقلى الرسائل (الفراجلة) قد رفعوا اليه أن رجلا من اليهود ادعى أن معه كتابا من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم يرجع تاريخه الى أحداث غزوة خيبر يتضمن اشارات تعفيه من آداء الجزية ، فلما قراه أحس بأن هناك تزويرا بهذا الكتاب ، فاشتاط غضبا ، غير أنه من فيضه وكرمه اسقط عنه الجزية المفروضة عليه تعظيما للرسول صلى الله عليه وسلم ــ وذكر

---

(٢٨) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ، ص ٣٤
(٢٩) مسكويه : المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ١٢٠ ٠
(٣٠) ابن كثير : المصدر نفسه ج ١١ ، ص ١٤١

هلال بن الصابىء (٣١) أن أبا القاسم بن قريب وكان محدثا وراويا قد رجع الى كتب التاريخ ، فوجد الأمر كما ذكره ابن الفرات ، وأخذ بصحة ما ذهب اليه .

ومما يجدر ذكره ان أبا الحسن بن الفرات كان لديه من اللياقة العقلية فى أمور الكتابة والمحاسبة ما يجعله خبيرا كافيا حتى صار علما يشار اليه بين أوساط زمانه وكان يحتل تلك المكانة منذ عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩) « الذى كثيرا ما كان يسعى الى الاستعانة به والابقاء عليه بين حين وآخر حتى فى تلك الفترات المحدقة التى ألمت به وأخيه العباس(٣٢) .

وبلغ اهتمام أبى الحسن بن الفرات بنشر العلم حتى فاق غيره من السابقين ممن عرفوا من الامراء حتى بلغ به الأمر أن خصص جلسات لطلاب العلم للنظر فى أحوالهم ، وتغطية نفقاتهم ، وقيل انه اطلق فى مجلس عقده خصيصا لطلاب الأدب والشعر مالا قدره عشرون الف دينار للصرف علي ما يحتاجونه من الورق والأحبار ، وغير ذلك ، ونذكر الرواية قوله (أنا أولى من عاونهم على ذلك) (٣٣) .

---

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٧٨

(٣٢) من بين النصوص التى تنهض دليلا بكفايته وعلمه بامور المحاسبة منذ عهد المعتضد ما أورده ابن خلكان من اشارات ، ومن ذلك ما نصه (قال الامام المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان قد دفعت الى ملك مختل وبلاد خراب ومال قليل واريد أعرف ارتفاع الدنيا لنجرى النفقات عليه ، فطلب عبيد الله ذلك من جماعة من الكتاب فاستمهلوه شهرا ، وكان أبو الحسن بن الفرات وأخوه أبو العباس محبوسين منكوبين ، فاعلما بذلك فعملاه فى يومين وانفذاه ، فعلم عبد الله ان ذلك لا يخفى على المعتضد ، فكلمة فيهما ، ووصفهما ، فاصتنعهما) ابن خلكان ـ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٢٢

(٣٣) مسكوية : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٩

ومما تجدر ملاحظته أن هناك اشارات تفيد الى أنه لم يسبق أبا الحسن بن الفرات بهذا النحو الا مسلمة بن عبد الملك الذى اوصى عند وفاته سنة ١٢١هـ بالثلث من ماله الخاص لطلاب الأدب(٣٤) .

وكان كثيرا ما يجزل أبو الحسن بن الفرات عطاءه الموفور على الشعراء الذين قدموا أطروحاتهم الشعرية فى مدحه ، من ذلك ما ذكره الصولى(٣٥) من أنه نظم شعرا فى مدحه ، فاطلق له ستمائة دينار(٣٦)

ومما قيل ان أبا الحسن بن الفرات كان يجرى الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء فيما يتراوح بين مائة درهم وخمسة دراهم (٣٧) بحيث صار من اليسير أن يجرى عليهم فى كل شهر ما فيه كفايتهم(٣٨) .

ومما قيل - أيضا - أنه كان يخصص من ماله فى كل شهر عطاءا موفورا للمحدثين والصوفية بما قدره عشرة آلاف درهم (٣٩) .

---

(٣٤) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ ٥ ص ١١٩ - ١٢٠
- ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٣٧٠
كان مسلمة معروفا بكرمه وفصاحته وحبه للعلم وولعه باسراره ، وروى الحديث عن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وروى عنه كثيرون ممن يحبون العلم والحديث ، وكان لمسلمة جهودا موفقه فى غزو بلاد الروم والترك ، وافتتح بلدانا ، وجمعت له فى عهد أخيه يزيد بن عبد الملك امرة العراقيين (ولاية البصرة والكوفة) ، فضلا عن خراسان ثم أرمينية (ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ٦ ص ٣٠٧ - ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٣٧٠) .

(٣٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥هـ) صاحب كتاب « الأوراق » .

(٣٦) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٤٢٢

(٣٧) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ٣ ص ٤٢٣

(٣٨) ابن كثير : المصدر نفسه جـ ١١ ، ص ١٥١

(٣٩) ابن كثير : المصدر نفسه جـ ١١ ، ص ١٥١

ومما يجدر ذكره أنه لولا ولع أبى الحسن بن الفرات بالعلم وأهله لما استغل جزءا كبيرا من المال الذى سعى اليه وولده للصرف على رجال الأدب والشعر ، وانه يفضل نشره للحركة الثقافية قد حقق ارتقاءا بشخصيته ، وان رغبته بنفس القدر فى الصرف على أوجه البر قد سد عن العامة عناءا أزاح عنهم الكثير من المتاعب ، غير أن ذلك كان يدور فى اطار جهوده دونما ظهور لاسهامات غيره فى ذلك الحين بفعل اضمحلال النظام العام فى الدولة الذى تراجع من جراء مقاصد الاتراك ونساء القصر ومطامع حكام الولايات الأمر الذى جعل الصولى لا يرى حرجا فى أن يحسب أبا الحسن بن الفرات من أجل الناس واعظمهم كرما وجودا (٤٠) .

وقصارى القول أن أبا الحسن بن الفرات برغم ما أحدثه من مزالق بفعل اقدامه على أموال المصادرين ، وما اقدم عليه ولده من نهب وسلب المعارضين فان جهوده نحو تشجيع العلم وأهله قد اسهمت فى تنشيط الحركة الثقافية ، فضلا عن عنايته بأهل البيوتات من الفقراء والمعوزين مما جاء تعويضا لما الم بحاضرة الخلافة من مخاطر الطامعين واضمحلال سلطان رأس الدولة .

---

(٤٠) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١٩٥ — ١٩٦

نصوص فى فضائل أبى الحسن على بن الفرات

يتضح لنا مما أسلفناه أن أبا الحسن على بن الفرات كان لديه من التمايز والخصوصية فيما يحسبه المؤرخون والكتاب من انه فاق أهل زمانه من حيث دأبه على فعل الخير واسرافه فى النفقة على أبوابه ، ولا يقلل من نهجه هذا ما أقدم عليه من فعل المصادرات ، وتعقب أحوال منافسيه وواقع الامر أنه لم يدخر وسعا فى أن يؤدى دوره بصـــورة فعاله فى كلا الاتجاهين ، فكان كثيرا ما يجزل العطاء الموفور لمستحقيه ، فى حين أنه كان ـ أيضا ـ بالغ السعى فى استقصاء أموال معارضيه التى كثيرا ماجاء جزء كبير منها بطريق الجور والتعسف ولا ننسى أنه قد صرف جزءا كبيرا من الأموال التى استاثر بها فى أوجه البر والاحسان .

وقد يظن البعض أن الوزارة فى أيام أبى الحسن بن الفرات تشكل نظاما استعمله صاحبه لاتلاف أموال الدولة ازاء رغبته فى تلبية نفقاته الخاصة ، غير أن هؤلاء لو استقصوا أحوال الدولة فى عهد المقتدر لادركوا أنه كان جديرا به أ نيناهض هؤلاء الذين جاروا على أموال الكتـــاب والعمال وما اليهم كما أن قيامه بتخصيص جزء كبير من الأموال الى بيت مال الخاصة لم يكن الا بازاء ضرورة ملحة فرضنها سياق الأحداث فى عهد المقتدر ، وما ذكره مســـكويه من أنه مازال ينفق الأموال من بيت المال الخاصة الى أن اتلفها لاينهض دليلا على أن أبا الحسن بن الفرات كان جائرا ظالما ذلك ان ما أتلفه فى أبواب كانت فى شئون تدخل ضمن اختصاص هذا الديوان ، كالصرف على استقبال المبعوثين أو ما كان يستخرجه لقاء الفداء أو تبادل الأسرى أو ما كان يخصصه للاحتفالات والمواكب وما اليها فضلا عن رغبة الخليفة نفسه فى الاسراف .

---

(١) مسكويه : المصدر نفسه ، ص ١٣ .

والأمر الجدير بالاعتبار أن ما أسلفناه حول اخفاق سياسته فى أيام وزارته الثالثة انما نشير به الى اخفاقه فى احتواء معارضيه ومنافسيه من الترك وموظفى القصر ، فضلا عن اخفاقه فى درء مخاطر القهـــرمانة ولا يقلل ذلك من كفاءته وحسن درايته والمامه بأعمال الجبايه فى الولايات واستقصاء الأموال من عمالها الى دواوين الحاضرة كما أنه كان ســديد الرأى فى اعادة الحقوق لأصحابها فى الوقت الذى نظر اليه أعداؤه متهمين اياه بالجور وقـــلة الحيلة ازاء أعمال ولده المحســـن الارهابية أيـــام وزارته الثالثة .

وتؤكد لنا النصوص التى أوردها هلال بن الصابىء فى شأن أعمال أبى الحسن بن الفرات أيام وزارته الثالثة من أنه كان حريصا على استقصاء رقاع المظالم ، ناهضا باستيفائها ، راغبا فى أن يستطيب الناس حياتهم الاجتماعية مما كان له أثر فعال لا ينكر فى ان تصير حياة الناس على نحو من الهدوء والسكينة واذا كان أبو الحسن بن الفرات على هــذا الجــد والسعى فى وزارته الثالثة فمن باب أولى أن يكون ذلك كذلك أيام وزارتيه الأولى والثانية .

وتعرض فى الصفحات التاليات جانبا من هذه النصوص التى أوردها هلال بن الصابىء ، وتحكى جميعها أعمال أبى الحسن بن الفرات ورغبته فى ان يوفر للعناصر المجتمعية بحاضرة الخلافة حياة أفضل .

١ ـ يتضمن النص الأول(٢) رواية تفيد بأن أبا الحسن بن الفرات كان دؤويا فى رد المظالم الى أهلها وانه قد اسند الى احد معاونيه من الكتاب باستقصاء حال رجل طلب منه انصافه والغاء ما عليه من ضريبة ، كانت قد فرضت على ضيعته من قبل بوصفها قطيعة قديمة يجرى عليها معاملة الضريبة المختصة بأهل الاقليم (الأستان) ، واعتنى أبو الحسن ابن الفـــرات برد مظلمته وتأكد من أن ما فرض عليه لا يزيد عن كونه

(٢) هلال بن الصابىء : المصدر نفسه ص ١٨٢ ـ ١٨٣

ضريبة تجرى مجرى الضريبة المختصة بأهل الاقليم ـ وذلك بعد أن أمر كاتبه أحمد بن يزيد بالرجوع الى الكشوف والسجلات الخاصة ويشار اليها فى النص بكلمة (جماعة) ـ وليست كما جاء فى مظلمته من أن ما فرض عليه انما جاء وفق ما يجرى فى مقاسمة القطائع ـ أى فرض الضرائب على نظام ضرائب الأرض المقطعة .

أما النص الثانى (٣) فيتضمن رواية تفيد بأن أبا الحسن بن الفرات قد عول على رد متأخرات أرزاق الكتاب فى وزارته الثالثة تعويضا عما أصابهم من جور حامد بن العباس وتأخيره لأرزاقهم ، وبلغ الأمر بابن الفرات ان أجرى عليهم أرزاق عشرة أشهر بما يماثل أرزاق أربعة عشرا شهرا .

أما النص الثالث(٤) فيتجلى لنا فيه الى أى حد كان أبو الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة يعول على تشجيع الناس من الاغنياء على بذل الاعطيات وتهيأة السبيل لمن ضلوا وأصابهم مكروه فنهض بمكافأة رجل من الأعيان كان قد أقبل على كاتبه أبى عمرو سعيد بن الفرخان النصرانى وأجزل عليه عطاءه الموفور تعويضا عما أصابه من تنكيل آيام حامد بن العباس .

ويظهر لنا من هذه الرواية أيضا التقاليد الخاصة التى سار عليها ابن الفرات فى مثل هذه المناسبات ، ، حيث أمر كاتبه أبا عمرو النصرانى ـ المشار اليه ـ باستحضار المزين الذى أكرمه فاوفد هذا الأول أحد غلمانه لاستحضاره فى شأن مقابلة الوزير فى داره ، ولما جاء الى الدار قابل صاحب ابن الفرات ليصحبه الى مجلس اعده ابن الفرات خصيصا لتلك المناسبة ودارت بين الرجلين مناقشة حول ما صنعه المزين من جميل ازاء

---

(٣) هلال بن الصابىء ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣
(٤) المصدر نفسه والصفحة ٢٢٦ ـ ٢٢٩

اتضاع حال ابى عمر النصرانى ، ويظهر أيضا ـ من النص أن أبا الحسن ابن الفرات كان يجعل لوكيله بعد سداد أمره فيه مهمة استخراج أوجه النفقة من ماله الخاص من يحسبه بحقه تعظيما له وتشجيعا لأن ينهج نفس السبيل .

ويتضمن النصان الرابع (٥) والخامس (٦) رواية تفيد بان أبا الحسن بن الفرات اهتم بازالة المواريث عن مستحقيها ، وأشار على الخليفة المقتدر بضرورة العمل على ما كان سائدا فى هذا الشأن أيام الخليفتين المعتضد والمكتفى بالله ، وكان هناك موظفون يعرفون بأصحاب المواريث ، وكانت مهمتهم فى أيام المقتدر ان يباشروا تركة من يموت وليس له وريث ، غير أنهم غالوا فى اتباع سنة لا تتفق وأحكام القرآن والسنة ، فاشتد ابن الفرات فى تعقبهم وأعلم الخليفة بأحوالهم وانحرافهم طالبا منه استصدار مرسوم اعفائى يخاطب به حكام الولايات ، لازالة هذه الرسوم الجائرة ، على أن يقرأ على الناس فى المسجد الجامع بحاضرة الخلافة .

ويتضح من الاشارات التى وردت بالنص رقم (٥) ان أبا الحسن ابن الفرات أراد أن يظهر بقدر اهتمامه برفع الجور والعناء عن الأهلين ـ مساوىء حامد بن العباس وأسبابه فاضحا أمره فيما صار اليه من تقليد لتعقب المواريث يجرون مجرى عمال الخراج .

وفيما يلى النصوص التاريخية التى أسلفنا الاشارة اليها .

---

(٥) نفس المصدر السابق ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٦) نفس المصدر السابق ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(١)

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : تظلم الى ابن الفرات فى وزارته رجل من أهل السـواد من بعض العمال . وذكر أن ضيعته قطيعة ، ورسمها قديم ، وأنه قد عومل فيها على معاملة الاستان وسأل انصافه وازالة الظلم عنه ، وحمله على رسمه ، وكتب اليـه رقعة فى هذا المعنى فوقع عليها باخراج الحال . فأخرج من ديوان السواد خرج حكى فيه : أنه رجع الى جماعة العامل للسنة المـاضية فوجد فى التخريج : قد اجرى فيها البيدر الذى تظلم لأجله على معاملة الاستان .

فلما عرض ذلك على أبى الحسن عرفه وجوب الحجة عليه ، وان العامل لم يتحيفه فيما فعله . وأقام على الظلامة ، ان غلته لم تقسم فى السنة الماضية الا على مقاسمة القطائع . وكان يكثر من الحضور فى أيام جلوسه للمظالم ، ويعاود التظلم ويقف له فى الطريق ، ويسأله تأمل أمره والتقرب الى الله تعالى بانصافه فلما ألح والحف تقدم الى أحمد بن يزيد المدير بأن يحضره جماعة العامل لينظر فيها بنفسه . فأحضره اياها ، وتأملها وتتبعها ، وحسب مبلغ ما يجىء من الغلة فى سائر أعمال الناحية على ان تلك الغلة جارية فى معاملة الاستان ـ ومبلغ ما يجب فيهـا على رسم القطائع ، ووجد الحيلة قد وقعت من بعض أعداء أصحاب الضيعة فى حك موضع رسمها فى القطائع واثباته فى الاستان . فاستدعى صاحبها وأعلمه بالصـورة ، وأن الذى أراد الاساءة به افساد معاملته لم يحسن التانى لذلك لأنه اقتصر على اصلاح موضع قسمة الغلة دون تتبع مواضع الحمل وان رسمه صحيح لا شبهة فيه . فشكره ودعا له ، وسأله الكتاب الى العامل باجرائه على رسمه فى القطائع . فقدم به . ثم عرفه أنه يتخوف أن يثبت فى ديوان الناحية ما حمل من غلتها على غير الرسم الصحيح ، وسأله التوقيع باطلاقه له ورده عليه . فوقع له بذلك وكان

الرجل يدعو لابن الفرات ويقول : أى وزير يتفرغ لى حتى يتتبع جمل الجماعة من أولها الى آخرها ، ويحصل ارتفاع الناحية بأسرها حتى يظهر له موضع الحيلة على .

(٢)

« وقال أبو القاسم : تأخرت أرزاق الكتاب فى وزارة حامد بن العباس ونظر على بن عيسى تأخرا طويلا . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة ، وعرف ، أنكره ، وعجب من استمراره ، وأنفذ المستحثين الى العمال للمطالبة به ، فقبضوا فى مدة عشرة أشهر جارى أربعة عشر شهرا ، وكان شديد التعصب لهم ، والعناية بأمرهم . ولقد سمعته يوما وقد خاطبه مخاطب على أن يجعل جارى بعض الكتاب لكاتب فى ناحيته وهو يقول : قطع الله رزقى يوم أقطع رزق كاتب ووقع للذى سئل فى أمره بجار مستأنف » .

(٣)

وحدث أبو القاسم قال : اجتمع كتاب أبى الحسن بن الفرات يوما بحضرته وذلك فى وزارته الأخيرة ، فذكر كل واحد منهم ما لحقه من الشدائد فى استتارة ، فحدثه أبو عمرو سعيد بن الفرخان النصرانى أنه كان فى موضع وأراد الانتقال عنه ، فخرج قبل طلوع الفجر ، فلما توسط الطريق تبعه انسان لا يعرفه . وأخذ فى غير الوجه الذى أراده ، وخرج منه الى غيره ، وهو يمشى معه . قال أبو عمرو ، فلما كاد الصبح يسفر وقفت وقلت : أنا رجل خائف ، وأريد أن أقصد موضعا أستتر فيه ، وقد قارب الوقت الذى قدرته أن يقرب باتباعك اياى . قال لى : قد عرفتك وما قصدت فيما فعلته الى الجميل معك ، ولو أردت الاستتار لكانت معوضة ،وهذا منزلى لك وبين يديك وأسالك أن تعدل اليه وتعمل على المقام فيه فنظرت فاذا الوقت قد ازف ، ولا يمكننى الوصول الى

الموضع الذى أردت قصده الا مع طلوع الشمس • فمضيت معه ، وتقدمنى واتبعته حتى وصل الى منزله ، ودخل وأدخلنى ، فوجدت دارا طيبة ، وفيها فرش نظيف ، وأكرمنى ومهد لى وجلس دونى وقال لى : أعلم ـ جعلنى الله فداك ـ أنى رجل مزين ، وارجع الى سعة حال ولى ثلاثون غلاما ، لكل واحد منهم منزل مثل منزلى ، فتقيم عندى ما أحببت ، فمتى ضاق صدرك وأحببت الانتقال نقلتك الى منزل واحد منهم ، فاقت فيه شهرا ، ولعل المدة ـ فى فرج الله عنك وبلوغك محابك ـ أن تكون أقصر من ذلك وبالعاجل قد أفردت له دارا ، وأعددت فيها جميع ما تحتاج اليه حتى لا تستعمل شيئا مما نستعمله نحن ، فربما لم تستنظفه •

ونهض من عندى وغاب ساعة وقال : اذا شئت يا سيدى •

فقمت وأدخلنى الى دار متصلة بداره ، قد فرشت بفرش نظيف ، وجعل فيها وما يحتاج اليه من طست وأبريق وجرار وكيزان وقدور وغضائر وجامات وسكر جات وصوانى وأطباق وقنانى وأقداح واذا جارية سوداء واقفة فقال : تكون هذا بين يديك متولية لخدمتك ، وانا صاحب خبرك ، فاذا كان عشية انصرفت اليه بما أسمعه • فشكرته وجزيته الخير • ومضى وطبخ لى ما أردت وأحضرت من الشراب ما طلبت وكان يجيئنى فى آخر كل نهار فيحدثنى بما يعرفه فلم أزل على هذه الحال مدة أربعة أشهر لا أعدم شيئا مما أريده • ثم ضاق صدرى وأحببت الانتقال ، فاشعرته بذلك ، فاختار لى واحدا من أصحابه ذكر تقدمه عنده وثقته فاشار بالنقله الى داره • فمضيت اليه معه ، فكان منزله قريبا من منزل مولاه ، وخدمنى وما قصر فى معرفة حقى والقيام بما أريده ، وأقمت عنده شهرا، وأردت الانتقال ، فعرفت المزين ذلك ، فاشارا بالرجوع الى نزله ، فرجعت ولم تمض الا أيام يسيرة حتى فرج الله عنا ، وكشف وجوهنا بالوزير أدام الله تاييده •

فقال له الوزير أبو الحسن بن الفرات : فأى شىء عملت فى أمر هذا الرجل وبأى مكافأة كافأته على جميع فعله ، قال : والله ايها الوزير ما عملت معه قليلا ولا كثيرا . فقال له : بئس ما فعلت فانك قد فضحت المستترين ، وضيقت عليهم مذاهبهم . والآن أنا أولى بقضاء الحق عنك منك . انفذ الى الرجل وجئنى به قال ابن الفرخان : فقلت : لكاون غلامى : امض الى المزين الذى كنا مستترين عنده فجىء به وعرفه ان الوزير يريده . فمضى فلما بعد قال لى الوزير : اردده وتقدم اليه بأن يورد عليه رسالة جميلة يسكن اليها ، وان يحضره على رفق واكرام قال : فرددته واوصيته ومضى الغلام ، وتشاغل ابو الحسن بالنظر والعمل ، وتشاغلنا بالتوقيع والكتب . ثم جاء الغلام وعرف أبا عمرو بن الفرخان حضور المزين ، وعرف ابو عمرو الوزير ذلك . فقال : يدخل . وخرج الحاجب فأوصله الى المجلس فوقف على بعد ، فاستدناه وامتنع فالح عليه فدنا وأمره بالجلوس فأبى أشد الاباء ولم يزل به حتى جلس ، ثم قال له : لم تتأخر مقابلة أبى عمرو لك عن جميل ما أوليته اياه الا لأنه خرج على حال مختله ، وذات يد قصيرة ، وأنا أتولى ذلك عنه وقد احسنت بارك الله عليك وفعلت ما يفعله الأحرار فقال وقال : قد وصلت أيها الوزير الى أعظم الجزاء بوصولى الى هذا المجلس ، وسماعى لهذا الخطاب ، وبلغت غاية أملى ونهاية امنيتى بذلك . وما بلغت ما كان فى نفسى من قضاء حقه – وأشار الى أبى عمرو – فأمر أبو الحسن باحضار أبى العباس أحمد بن مروان وكيله ، فحضر وأسر اليه شيئا لم نعلم ما هو ، فخرج ، وأخذ المزين معه ، ثم عاد بعد ساعة وحدثه ما لم نسمعه فأخرج رأسه من سرارة وقال : أرأيتم مثل ما نحن فيه مع هذا المزين ؟ تقدمت الى ابن مروان بأن يدفع اليه خمسة آلاف درهم . فعرفنى أنه امتنع من قبولها ، وذكر سعة حاله واستغناءه عنها . ورد اليه ابن مروان برسالة هذا المعنى ، فمضى وعاد فذكر اقامته على الامتناع ، فأمر الوزير أبا عمرو بن الفرخان بأن يقوم اليه ، ويلطف به ويرفق ولا يدعه حتى يقبل ما أطلقه ، وقال : لعله استقل الخمسة آلاف درهم فلتجعل خمسمائة

دينار . فاحضره والزمه اخذها ، وعرفه انه ان امتنع من ذلك غضبت عليه وانه يفسد ما قد حصل له فى نفسى . فقام أبو عمرو ساعة ثم عاد وقال مازلت معه فى مراوضة وملاطفة حتى قبلها وانصرف شاكرا فيقينا وبقى الناس زمانا يتعجبون من فعل المزين وكبر نفسه . وكرم ابن الفرات ومكافاته عن كاتبه .

(٤)

وحدث أبو عبد الله زنجى قال : توفى أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخى أبى صخرة فى يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من شعبان سنة احدى عشرة وثلاثمائة فى وزارة أبى على بن محمد بن الفرات ، وخلف أموالا وأملاكا كثيرة ، ولم يخلف ولدا . فتعرض أصحاب المواريث لتركته ، وبلغ أبا الحسن بن الفرات ذلك فانكره ، ومضى الى المقتدر بالله وقال له : قد كان المعتضد بالله والمكتفى بالله رفعا المواريث وأزالاها وأنت أولى من أمضى فعلهما وأجرى سننهما . فامره بفعل ذلك والتقدم به . وفعل وأزال التوكيل عن دار أبى عيسى أخى أبى صخرة والاعتراض عما خلفه وسلم جميعه الى الورثة وأشهد عليهم بتسلمه . وأمر بأن يكتب الى العمال فى سائر النواحى برفع المواريث ، فكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه بما نسخته :

أما بعد ، فان أمير المؤمنين يؤثر فى الأمور كلها ما قربه من الله جل جلاله ومن طاعته ما اجتلب له منه جزيل مثوبته ، وحسنت به العائدة على كافة خليفته ورعيته لما جعل الله عليه نيته من العطف عليها ، وايصال المنافع اليها . وازالة الاعنات عنها ، وابطال رسوم الجور التى كانت تعامل بها ، واحياء سنن الخير وايثاره لها ، جاريا مع الكتاب والسنة ، عاملا بالآثار عن الأفاضل من الأئمة وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، واليه يفوض وبه يستعين .

وعرف أبو الحسن أمير المؤمنين (أن) ما قرر عليـه حامد بن العباس الأمر ـ مع تتبع المواريث وتقليد جبايتها عمالا يجرون عمال الخراج ـ شيء لم يكن فى خلافة من الخلافات الى أن مضى صـدر من خلافة المعتمد على الله ـ رحمه الله ـ فان بدا دخلت فيها فى ذلك الوقت على سبيل تأويل بما روى عن زيد بن ثابت ـ رحمه الله ـ دون غيره ، فازالها المعتضد ٠٠٠٠ ثم أعاد ذلك الرسم الجائر والأثر القبيح حامد بن العباس بظلمة وتعديه وتهوره وتسطيه وتأول على الرعية بما لم يرض الله عز وجل فيه ٠ فأمر أمير المؤمنين بأن يرد على ذوى الأرحام ما أوجب الله عز وجل ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود ـ سـلام الله عليهم ومن اتبعهم من أئمـة الهدى رضى الله عنهم ـ رده من المواريث عليهم وان ترد تركه من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثا على أهل ملته ، وان يصرف جميع عمال المواريث فى سائر النواحى ويبطل أمرهم ، ويرد النظر فى أعمال المواريث الى الحكام على ما لم يزل يجرى عليه قبل أيام المعتمد على الله ٠ ورأى أمير المؤمنين ان من الحق لله عليه فيمـا قلده من خلافته ، والبسه من جلبات كرامته ، وألزمه من رعاية عباده فى بلاده الدانية والقاصية ، ونواحى سلطانه القريبة والبعيدة ، أن يعم جميعهم بعدله وانصافه ، ويتناولهم بفضله واحسانه ، ويسن لهم سنة الخير فى أيامه ، ويزيل عنهم البوائق والعوارض التى توجد بها السبيل الى أن تنقص أموالهم ويتوصل فيها الى ظلمهم واعناتهم ، وان يجرى الأمر فى المواريث على ما كان جاريا عليه فى أيام المعتقد بالله ٠٠٠ وترك

تبديله والحذر من ازالته وتغييره واذاعة ما أمر به واظهاره وقراءته على الناس فى المسجدين الجامعين بمدينة السلام ليكون مشهورا متطالما والخبر به الى الادانى والاقاصى واصلا . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره وأعمل عليه وبحبسه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وكتب أبو الحسن يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت رجب سنة احدى عشرة وثلاثمائة .

المصــــادر والمراجـــع

أولا : المصــادر العربيــة القديمــة

١ ـ **ابن الأثير** : عز الدين على بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) ٠
الكامل فى التاريخ « الجزء السادس ، صحح أصوله وعلق عليه عبد الوهاب النجار » ، مصر ١٣٥٣ هـ ٠

٢ ـ **البـــلاذرى** : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٨ هـ)
« فتوح البلدان » نشر رضوان محمد رضــوان ٠ بيروت ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م ٠

٣ ـ **الثعالبى** : ابن منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ)
« يتيمة الدهر » الجزء الثانى نشر محمد اسماعيل الصاوى ط أولى من القاهرة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م ٠

٤ ـ **الجهشيارى** : محمد بن عبدوس (ت ٣٢١ هـ) ٠
الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨ م ٠

٥ ـ **ابن الجــوزى** : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ)
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم الجزء الســادس الهنـد ١٣٥٨ هـ ٠

٦ ـ **الحسن بن عبد الله** : (ت ٧٠٨ هـ) ٠
آثار الأول وترتيب الدول ط بولاق ١٢٩٥ هـ ٠

٧ ـ **الخطيب البغدادى** : الحافظ أبو بكر أحمد (٤٦٣ هـ) ٠
تاريخ بغداد أو مدينــة الســلام ، الجزء الأول القاهرة ١٩٣١ م ٠

٨ ـ **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد المغربى (ت ٨٠٨ هـ) ٠
« مقدمة ابن خلدون » ، بيروت ١٩٧٩ م ٠

٩ - ـــــــــــ :
« كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » الجزء الثالث
بيروت ١٩٧٩ م ·

١٠ - **ابن خلكان :** أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١ هـ) ·
ثة أجزاء أو ٣ ، ٥ ، ٦ تحقيق احسان عباس - بيروت
١٩٦٨ م ·

١١ - **ابن الأزرق :** أبو عبد الله عبد الأزرق (ت ٨٩٦ هـ) ·
بدائع السلك فى طبائع الملك الجزء الأول تحقيق وتعليق
دكتور على سامى النشار ، طبعة وزارة الاعلام ، العراق ·

١٢ - **الشهرستانى :** أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم
(ت ٥٤٩ هـ) ·
الملل والنحل الجزء الأول ١٩٤٨ ·

١٣ - **السيوطى :** عبد الرحمن بن أبو بكر هلال الدين (ت ٩١١ هـ)
تاريخ الخلفاء » امراء المؤمنين « القاهرة ١٣٥١ هـ ·

١٤ - **الصابىء :** أبو الحسن الهلال بن الحسين (٤٤٨ هـ) ·
تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء تحقيق عبد الستار أحمد
فراج ، مصر ، دار احياء الكتب المصرية سنة ١٩٥٨ ·

١٥ - **الاصطخرى :** أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (توفى فى النصف من
القرن الرابع الهجرى) ·
مسالك الممالك تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ·

١٦ - **الصولى :** أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) ·
أخبار الراضى بالله والمتقى لله أو تاريخ الدولة العباسية من
سنة ٣٢٢ هـ - ٣٣٣ هـ نشر · هيورث · دن - مطبعة
الطباوى - القاهرة ·

١٧ - **ابن طباطبا :** محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ).

الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية : نشر يوسف توما البستانى المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٢٧م .

١٨ - **الطبرى :** أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

تاريخ الأمم والملوك - الجزء الحادى عشر - المطبعة الحسينية الطبعة الأولى القاهرة .

١٩ - **عريب بن سعد القرطبى :** (ت ٣٦٦) .

صلة تاريخ الطبرى - القاهرة ١٣٠٢ هـ .

٢٠ - **أبو الفدا :** عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٣ هـ) .

المختصر فى اخبار البشر ، الجزء الثانى - دار المعرفة - بيروت .

٢١ - **ابن قتيبة :** أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .

المعارف ، تحقيق ثروت عكاشه الطبعة الرابعة ، دار المعارف - القاهرة .

٢٢ - **القزوينى :** زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) .

آثار البلاد وأخبار العباد طبعة بيروت .

٢٣ - **الكندى :** أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ) .

الولاة والقضاة - بيروت ١٩٠٨ .

٢٤ - **ابن كثير :** عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) .

البداية والنهاية . جزءان ٩ ، ١١ القاهرة ، دار الفكر الفكر العربى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م .

٢٥ - **الماوردى :** أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠ هـ) .

« الأحكام السلطانية والولايات الدينية » . عنى بتصحيحه حمد بدر الدين الحلبى - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م .

٢٦ ـ أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تعرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) ٠

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية ، الجزء الثالث ٠

٢٧ ـ المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى (ت ٣٨٨ هـ) ٠

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ـ ليدن ١٩٠٦ ٠

٢٨ ـ المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثانى القاهرة ١٢٧٠ هـ ٠

٢٩ ـ ــــــــــ : التنبيه والإشراف ، ليدن ١٩١٤ م ٠

٣٠ ـ مسكويه : أبو على أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) ٠

تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، الجزء الخامس ، مصر ، ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م ٠

٣١ ـ المقريزى : تقى الدين أحمد (ت ٨٤٥ هـ) ٠

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، بولاق ١٢٧٠ هـ ٠

٣٢ ـ ياقوت : شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) ٠

معجم البلدان ـ أجزاء ١ ، ٣ ، ٧ ـ القاهرة مطبعة السعادة ـ طبعة أولى ١٩٠٦ م ٠

٣٣ ـ اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) ٠

تاريخ اليعقوبى ، الجزء الثالث ، بيروت ١٩٨٠ م ٠

ثانيا : المراجع العربيـة الحديثـة

٣٤ ـ **أحمـد أمين** : ظهر الاسـلام ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٥ م ٠

ظهـور الاســلام ٠

٣٥ ـ **آدم مـتز** :

« الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » نقله الى العربية ـ محمد عبد الهادى أبو ريده ـ الجزء الأول ـ بيروت ١٩٦٧ ٠

٣٦ ـ **حسن ابراهيم حسن** :

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ـ الجزء الثالث ـ القـاهرة ١٩٤٧ ٠

٣٧ ـ ــــــــــ : النظم الاسلامية ـ القاهرة ١٩٣٩ ٠

٣٨ ـ **حسن أحمد محمـود** :

العالم الاسـلامى فى العصر العباسى ـ الجـزء الأول ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ٠

٣٩ ـ **سيدة اسماعيل الكاشف** :

مصر فى عصر الاخشيديين ـ القاهرة ١٩٥٠ ٠

٤٠ ـ **محمد جمال الدين سرور** :

تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الثانية ـالقاهرة ١٩٦٧ م ٠

ثالثا : المراجـع الأجنبيـة

41. Bowen Harold.
    The life and times of Ali Ibn Isa the good visier
    (cambridge 1926).

42. Gibbon, E. History, decline and fall of the Roman empire
    vol. IV. (London 1909).

43. Muir, Sir William : The Caliphate (Edimburge 1925).

المحتـــوى

رقم الايداع ٣٢٨١ / ١٩٨٨

دار وهدان للطباعة والنشر

٦ ميدان بركة الرطلى

تليفون : ٩٠٥٠٣٦ — ٩٢١٤٤٤